حارسات

حارسات

رقم الاصدارة 10

أغسطس 2019

اختيار

Ikhtyar

2019
أغسطس

تنسيق و تحضير
نانا أبو السعود

•

تدقيق لغوي
مها القاضي

•

تصميم
علياء علي

•

مراجعة
سالي الحق
مي بانقا

•

«إن الآراء المذكورة في هذا العدد، تعبر عن آراء كتابها فقط ولا تعكس بالضرورة آراء وتوجهات مجموعة اختيار وفريق التحرير»

"الترخيص بالمثل- نسب المصنف"

المحتوى

مقدمة 4

ورقة سياق 7

ليلى: مكتسبات المناصرة 18

سرد: هند 23

جي 28

تحويل الصمت 32
"منظور شخصي، وسياسي، وتربوي، لسرديات الإجهاض"

جاين 40

مُقدمة اختيار

كتابة: سارة قدري

تأتي هذه الإصدارة كخطوة مكملة لعملنا على الحقوق الجنسية والإنجابية، لبناء خطاب نسوي يرى تلك القضايا بعدسة تقاطعية، إذ لا نريد لهذا الخطاب أن يتبلور بمعزل عن الجهد الذي يبذله على الأرض أفراد ومجموعات ومنظمات معنية أيضًا بتلك القضايا. فمن خلال مقابلات شخصية أجريناها مع بعض من المنخرطات في هذا المجال، استطعنا رسم خطوط عريضة - ما زالت في طور الاكتمال - للعمل المنجز بالفعل في قضايا الحقوق الجنسية والإنجابية. ورصدنا بعض الانتقادات التي صاغتها المشتغلات بتلك القضايا، من خلال خبراتهن العملية ورؤاهن الشخصية المبنية على رصد وتحليل الآثار المحدودة للعمل القائم. وتأتي هذه الانتقادات بدافع من آمالهن الشخصية وتطلعاتهن لمسار عمل مرن وشامل وقادر على رؤية موازين القوى في سياقها المحلي. وكذلك الوعي بكم التقاطعات الموجودة تحت مظلة قضايا الحقوق والصحة الجنسية والإنجابية.

وفي هذا السياق، نرى أن دور مجموعتنا النسوية هو التفاعل والاشتباك النقدي مع العمل الموجود بالفعل، عن طريق إنتاج مواد باللغة العربية عن قضايا الحقوق والصحة الجنسية والإنجابية. ونرى أن إنتاج هذه المعرفة هو عمل وفعل سياسي بالأساس، إذ نحاول التعبير عن الآثار الملحقة بتلك القضايا على حيواتنا كنساء. ونحاول أن نكون جزءا فاعلا في بناء حركة نسوية تمتلك خطابًا سياسيًا بالأساس، وغير مكتفية بالعمل التوعوي وتقديم الخدمات كأدوات وحيدة للاشتباك، دون النظر للظروف التي تنشئ وتعيد إنتاج اللامساواة الهيكلية. فالتعامل المتفق عليه ضمنيًا يحول قضايانا إلى إحصائيات وأرقام ومؤتمرات لا نحضرها، لعرض الاستنتاجات المبنية على تلك البيانات بشكل يفتقد المعالجة التي تربط وتفسر هذه القضايا في إطار الأثر الحقيقي واليومي الذي تتحمله النساء وحدهن في أغلب الأحيان. كما يغيب تفسير السياق السياسي والاقتصادي المحلي الذي تعاني منه النساء، والذي يصعّب من مهمتنا في المناصرة والحديث عن تلك القضايا، وطرحها للنقاش المجتمعي وفرضها على أجندة صناع القرار. فمثلا، لا ترى الأرقام أن هناك أمهات يقمن بإجراء عمليات الختان لبناتهن، لأن جزءا من واجبات الأسرة هو السيطرة على الأجساد الأنثوية وتحجيم رغباتها الجنسية. وإذا فشلت الأسرة في تلك المهمة، يقع اللوم على الأم. ندرك أن ضرورة السيطرة على أجسادنا يرجع لوجودنا في نظام تراتبي، يضع النساء في مرتبة أدنى ويرى أجسادنا مساحة لهيمنة الرجال، سواء بالمراقبة أو بالتحكم أو بالعنف. وهو نظام يجبر الكثيرات منا على توريث الآلام لنساء أخريات. وهنا نرى الختان بصفته جزء من ممارسة النظام الأبوي المؤسسي، وليس مجرد ظاهرة أو عادة "خاطئة" يمكن أن يتخطاها المجتمع بحملات توعية لا تكترث لفهم التراتبية التي ينتج عنها الختان، وترى أهدافها محصورة في أعداد الحاضرين من الفئة المستهدفة وتحقيقها. قد تقلل تلك الحملات من أعداد النساء اللاتي يتعرضن للختان، لكنها لا تقدم حلول جذرية لأسس القهر الممنهج في كل مناحي حيواتنا.
كما ندعو الإطار التحليلي التنموي المهيمن على الجهود المبذولة حاليا لاستيعاب هوياتنا المركبة التي

تتحكم في مسارات حياتنا اليومية، والتي قد تعرضنا لجوانب متشابكة من القهر.

تقديم هذا الطرح من منظور نسوي تقاطعي يكشف مدى تسطيح الرؤية العامة لقضايا الحقوق والصحة الجنسية والإنجابية، كجزء من ممارسات النظام الأبوي الطبقي الذي يسعى لاستدامة أسسه، لكنه يضطر أحيانا لمعالجة بعض مشكلاته بشكل سطحي. فيصبح حقنا في الاستمتاع الجنسي، بممارسته في بيئة آمنة بدون الوصم الأخلاقي، أو توفير الخدمات الصحية اللازمة في حالة احتياجنا لها، مجرد رفاهية. كما أن السردية المهيمنة حاليا على قضايا الصحة الجنسية والإنجابية قاصرة ومضللة، وتغفل الأبعاد المختلفة التي نراها ضرورية للمساهمة في بناء الحركة، وهو أمر يرجع لتجاهل موقعية أجسادنا وعلاقتها بهوياتنا المركبة، وباختلاف امتيازاتنا وأوجه قهرنا.

فضلنا استخدام منهج المقابلات الشخصية والسرد الذاتي لكتابة تلك الورقة، لأننا نرى أن السرد الذاتي يقدم رؤية أوسع وأشمل للمسار الذي مرت به المشاركات في تلك المقابلات، ويدفعهن لتأمل دوافعهن وخبراتهن وانطباعاتهن عن تلك التجارب، التي تشكل جزءا من واقع اجتماعي وسياسي أكبر منهن. كما تمكننا المقابلات من فهم موقعيتنا في ذلك البنيان السياسي والاجتماعي. ندرك أن ذلك الموقع تتقاطع في صناعته أنظمة مختلفة للقهر، تتداخل وتؤثر على حيواتنا اليومية وعلى تعاطينا مع أجسادنا وعلاقاتنا بها. وتبدأ أنظمة القهر هذه من ممارسة الرقابة على تحركاتنا وسلوكياتنا في الأسرة والعائلة والمجتمع، مرورًا بالمؤسسات الطبية وسلطتها على أجسادنا، ومؤسسات تشريعية أبوية تمارس عنفًا مشرَّع اجتماعيًا على تلك الأجساد من خلال القوانين التي تحد من مساحات حركتنا في الخاص والعام، وصولًا للمؤسسات الدولية التي تحصر قضايانا في أرقام وأهداف ومشاريع مصممة بمعزل تام عن متطلبات السياق المحلي الحقيقية.

بالإضافة لذلك، ننشر ثلاث ترجمات لكتابات شخصية سياسية، لنساء من سياقات اجتماعية بعيدة جغرافيًا، لكنها متشابهة من حيث السياق والتحديات التي يواجهنها في عملهن. ترجمنا تلك النصوص لأننا نراها شديدة الأهمية من عدة جوانب؛ الأول هو محاولة إتاحة محتوى مكتوب باللغة العربية، يتخذ من السرد الذاتي مساحة للانعكاسات الشخصية والسياسية، إذ تشارك باميلا بريدج واتر، وهي ناشطة نسوية أمريكية مثلية سوداء، تعمل محامية وأستاذة في القانون، بمقال "تحويل الصمت: منظور شخصي، وسياسي، وتربوي، لسرديات الإجهاض". وتروي فيه تجربتها في السرد الذاتي وعلاقته بنضالها في تحقيق العدالة الإنجابية، وكيف كان لتجربتها أثر واضح باعتبارها تجربة إيجابية، جاءت قبل حكم "رو ضد ويد"[1]. وتحكي كيف ساعد سردها في رؤيتها هي وتلميذاتها لتحكم القانون في حيواتهن كنساء، وكيف يمكنهن أن يصبحن فاعلات في فهم وتطبيق القانون، عن طريق الدفاع عن والمشاركة في الحراك الداعي لإطلاق حرية الإجهاض.
وفي مقال بعنوان "جاين"، تشرح روث سيرجال ظروف تكوين تلك المجموعة الداعمة لحرية

[1] قرار صادر من المحكمة العليا سنة 1973، بعدم إطلاق الحق في الإجهاض، و السماح للدولة بمنع الإجهاض و تجريمة في المرحلة الثانية و الثالثة من الحمل. قبل هذا القرار كان الإجهاض قانونياً في الكثير من الولايات، و يسري هذا القرار على المستوى الوطني.

الإجهاض، وعن الأثر الذي تركته في مجتمعها. كذلك في مقابلة أُجريت مع ماري لي بندولف، تحكي عن زواجها المبكر وحملها بأول أطفالها في سن صغيرة جدًا، وكيف كانت تجربتها في التعرف على الدورة الشهرية والحمل والولادة قاسية بسبب عدم معرفتها لأي معلومات عنهم، ولأن منعها من استكمال تعليمها كان نتيجة مباشرة لحملها. تحدثت بندولف عن رغبتها الدائمة في امتلاك المعرفة، ومشاركتها مع أبنائها حتى تجنبهم المرور بنفس التجربة.

كما ننشر نصين كتبهما اثنتان ممن أجرينا معهن مقابلات شخصية، تشاركان فيهما بجانب من تجربتهما الشخصية. ويبرز في أحد المقالات اهتمام صاحبته بالبحث في تقاطع قضايا العدالة الاقتصادية والاجتماعية مع قضايا الحقوق والصحة الجنسية والإنجابية، والتفتيش عن المحفزات التي دفعتها للانخراط في المناصرة الدولية في البداية، ثم اهتمامها بالنظر للوضع الداخلي في مصر ورؤية أوجه انعدام العدالة الاجتماعية والاقتصادية، وأثرها على حيوات النساء. وتسرد محاولاتها المتكررة وإحباطاتها المتتالية، وكيف تعمل على تخطيها. ويتناول المقال الآخر تجربة إحداهن في تكوين مؤسسة في القاهرة الكبرى للتوعية المحلية بآثار العادات الاجتماعية الضارة، ومنها ختان الإناث وزواج القاصرات. وتتحدث فيه عن العقبات التي واجهتها في بداية عملها، وعن المقاومة المجتمعية لما كانت تحاول القيام به، وكيف سارت في هذا الطريق غير الممهد بناء على دوافع وتجربة شخصيين.

نؤمن أن علينا السعي للتعرف على تجارب من سبقننا، والتعلم من الطرق المختلفة التي تعاملن من خلالها مع التحديات التي واجهنها. فنحن لن نعيد اختراع العجلة. وهناك بالضرورة آليات تمكننا من فهم أعمق وإدراك أشمل لطبيعة العمل الذي نقوم به، وكذلك العمل بطريقة منحازة سياسيًا، لا تنظر لقضايا الحقوق والصحة الجنسية والإنجابية باعتبارها قضايا منعزلة عن السياق السياسي والاجتماعي.
لذا، ندعوكن لقراءة هذه الإصدارة، والتعرف على أطروحتنا. ونأمل أن تكون مساحة للتفكير في انعكاساتكن الشخصية والسياسية فيما يتعلق بالخطاب النسوي حول قضايا الحقوق والصحة الجنسية والإنجابية.

كتابة و تحضير: نانا أبو السعود

كان 2018 عاما مليئا بالاطلاع والتفكير، قادني لقراءات ممتعة ومشحونة وحالمة. عامٌ مليء بالتعلم والإنصات إلى تجارب نساء ونسويات من أماكن متفرقة حول العالم. قراءاتٌ تعكس نقاشات أفتقدها جغرافيًا ولغويًا. مثلا، عادةً ما يسهل مناقشة أثر اليمين المتطرف والكوارث البيئية بالانجليزية عنها بالعربية، بالنسبة لي على الأقل. والسبب وراء ذلك قد يبدو تفضيل شخصي للغة أجنبية. في اعتقادي، يرجع هذا الارتياح لأسباب عدة لا متسع لها هنا. أخذت خطوة للوراء للتفكر بناءا على مناقشات دارت بيني وبين أفراد معنيين وعاملين بالصحة الجنسية والإنجابية في مصر، ضمن اهتمام مجموعتنا "اختيار" بالمبادرة بفتح النقاش وبناء مساحة للتعلم لنا، كأفراد فاعلات ومهتمات. يتمحور عملنا بالحقوق الجنسية والإنجابية حول "الكرامة الجسدية". وتمحورت معظم نقاشاتي مع زميلاتي حول دور اللغة والخطابات التي تتبناها كيانات عدة حول الصحة الإنجابية في مصر. أغلب المبادرات المجتمعية المنادية بخلق محتوى باللغة العربية عن الصحة الجنسية والإنجابية تقصد بأنشطتها رفع الوعي الجمعي، أو التوعية بسلوكيات صحية، وكلها مواد يفتقر إليها المحتوى المعرفي الرقمي باللغة العربية. لا يروي هذا المحتوى تعطشي للغة مألوفة ممزوجة بسياسات نسوية لمناقشة الحقوق الجنسية والإنجابية، تتأمل واقعنا المُعاش، وغير مقتصرة على توجيهات "افعل ولا تفعل".
بما أن الحقوق الجنسية، والحقوق الإنجابية على وجه التحديد، تندرج تحت مظلة الصحة العامة في شكل خدمات - على الأقل نظريًا هذا هو الحال في مصر - قد تنتقي مجموعات عاملة في مجال حقوق المرأة أو منظمات نسوية بعضًا من القضايا "المُلحة"، لرفع الوعي أو الدعوة لتبني إطار عمل بعينه أو تعديل قانون ما. هذا التعامل الموسمي مع قضايا الحقوق الجنسية والإنجابية يظل أحد أكبر نقاط الضعف في المناصرة المحلية والإقليمية، وبلا شك يؤثر على مدى تمثيلنا وتأثيرنا كنسويات من شمال أفريقيا، للتعبير عن مطالبنا في منصات ومحافل دولية. ففي هذه المحافل، ننخرط في تفسيرات للمناخ السياسي، وإن امتد الحديث، اقتصر على مصر حيث "الختان أو الزواج المبكر أو التحرش الجنسي"، وكأن هذه هي كل مشاكلنا، وباختفائها لا تشغل بالنا اللامساواة والأنظمة الأبوية.

أصبحت المهمة البديهية لنا هي مقاربة تلك الخطابات مع واقعنا المحلي، وعلى أساسها قررنا ترجمة ثلاث كتابات من الانجليزية، بغرض التعلم من حركات سبقتنا تاريخيًا. وبالرغم من بعدها جغرافيًا، تتسم هذه التجارب بالكثير من التشابهات السياسية؛ حاورت 12 مناصرة ومناصر (تسع نساء وثلاثة رجال) تتراوح أعمارهم بين 24 و44 سنة، يعملون ضمن كيانات مختلفة؛ عشرة أفراد منهم يتخذون من القاهرة مركزا، وامرأتان تعملان على مستوى قاعدي في الصعيد. تجمعني صداقات ببعض من حاورت، وعلاقات عمل بالبعض الآخر، وآخرين أتابع عملهم عن بعد. دارت مقابلتنا في

الفترة من 7 نوفمبر 2018 وحتى 4 فبراير 2019. وفضلت تجهيل الجميع والكيانات التابعين لها، ففي التجهيل براح نفتقده بحضور الرقابة الذاتية.

الهدف الرئيسي من تتبع خطوات كل من المشاركات والمشاركين لا يتمحور حول الأرشفة في حد ذاتها، فبوصلتي كانت تقودني لنحت ذاكرة حية وتفاعلية مع الحاضر. الهدف الأساسي من هذه المقابلات هو رسم السياق من وجهة نظر المنشغلات بالحقوق والصحة الجنسية والإنجابية في هذا الحيز الزمني والمكاني.

في مصر بشكل عام، لا يُنظر للحقوق والصحة الجنسية والإنجابية كمجال عمل محدد، بينما في كثير من البلاد يعمل أفراد ومجموعات على قضايا مختلفة تحت مظلته، وتسلط بعض مجموعات العمل الضوء عليها كقضايا مترابطة، وبعض المجموعات تركز على الظواهر المجتمعية فرادى. هنا نفتقر تحليلات تربط العلاقات بين تقاطعية القهر، فلا نحن أحرار بزوال الختان، ولا نحن متحررات بالقضاء على الزواج المبكر.

"سبب من أسباب اني متردد أستمر كمحترف في نفس المسار اللي بدأته من وقت دراستي الجامعية في الشغل على الحقوق والصحة الجنسية والانجابية، أنه صعب التخطيط جواه، هو مش مجال عمل محدد."
مصطفى

يسهل على كثير منا - المنشغلين بالحقوق الجنسية والإنجابية - التدليل الكمي على أهمية مناقشة القضايا هذه، أو تحضير مسودة القانون ذاك. ويصعب على كثير منا التدليل بتجاربنا وواقعنا المُعاش، فلا مجال للسرد الذاتي حول موائد صناعة السياسات. مساراتنا الذاتية ومعاركنا في البيت، في الزيارات المنزلية (ضمن الأنشطة التوعوية)، وفي علاقاتنا الشخصية، تبقى بيانات بديلة غير مجدية وغير جادة للتخطيط المبني على أدلة علمية. من حين إلى آخر، نساهم في سرديات كمية عن وفيات الحوامل في المناطق النائية، وبالتبعية الزمنية ننسى ونتناسى دوافعنا النفسية والعاطفية وراء عملنا ولماذا نحن هنا؟ نصبح أيضا أرقامًا في تقارير، وعددَ حضورٍ في موائد مستديرة، ووفود مؤتمرات دولية. ما نحاول نحن في "اختيار" الالتفاف حوله - كوننا جئنا من نفس السياق - أن نتعلم ونرسم الفروق بين الحكي للالتئام، والسرد الذاتي من أجل التغيير.

ذاكرتنا وتجاربنا الشخصية لا يتماثلان حتى وإن تشابها، بعضنا أحضرته قسوة تجربة، وبعضنا استقطبته معرفة، وهناك من حركه شغفه وانشغاله بالشأن العام، والبعض الآخر هنا كمصدر دخل. تشكل اختلافات تجاربنا - إلى حد ما - هويات برامج العمل أو القضايا التي نختار التفاعل معها، هذا بافتراض توفر رفاهية الاختيار. نكتب هنا لنسجل كيف بدأ بعضُنا، ونتذكر سويًا صراعاتنا الشخصية مع الثقة في أجسامنا، وفضولنا الجنسي ورغبتنا في الانبساط، وأملنا في تغيير واقع لا نرضى به. وحتى لا نشارك في توثيق لهذه الفترة يخلو من مشاعرنا وتطلعاتنا الشخصية، يسرده نيابة عنا

آخرون وكتب وأبحاث لم نسطرها.

تعمل مصر دوليًا ومحليًا ضمن إطار عمل الصحة الإنجابية فقط؛ لتبقى الحقوق الإنجابية (مثل إتاحة خدمات إجهاض آمن) والصحة الجنسية (مثل إتاحة تعليم جنسي شامل) والحقوق الجنسية (مثل التعبير عن التنوع الجندري) رُقَعا للاستكشاف، ومعرفة غير منظمة أو منتظمة. ويصعُب خلق قوة عمل تناصر معظم المحاور السابق ذكرها، عند المقارنة مثلا بتنظيم حملات لتنظيم الأسرة أو الختان/تشويه الأعضاء الجنسية، بمعنى أن كل ما يتعلق برعاية ما قبل الولادة ورعاية ما بعد الولادة وسرطان الثدي وكل الخدمات "اللاجنسية" والملائمة لمستقبِلات الأسرة المصرية، يسهل العمل لها وحولها. وذلك على العكس من قوة عمل حول العدوى المنقولة جنسيًا المسببة للسرطانات والعقم.

2011 كانت لبعض من جيلي دعوة للانشغال بالشأن العام، زرع خلالها اهتمام بتغيير والتأثير في واقع نبذنا النشأة فيه أو انضمامنا له على الأقل، حتى لا نورِث المزيد من الخوف والسخط.

"بدأت أتعرف على المؤسسات الحقوقية، كنت مهتم بحقوق الانسان بشكل عام؛ الحق في الانتخاب. مع الوقت شغلي دفعني للتركيز على الحقوق الجنسية وإن مؤتمر*94* كان عندنا بس مش عارف(سياساته) مكملتش عندنا ليه*!*"

مالك

انعكس تغيير ملامح المشاركة في المجال العام في السنوات الأخيرة بمزيد من التضييق على العمل حول الجنس والإنجاب بالتبعية، تزيد من صعوبة الإحلال الثقافي لكل ما هو متعارض مع سيادة الفرد لذاته. ولأن الجنس والإنجاب يتحكم بهما هياكل أبوية محركة لمعرفتنا وتوجهاتنا، غير مقيدة بالجهات الحاكمة فقط، فنحن أيضا نعيد إنتاج الأبوية في كل تفاصيل حياتنا اليومية. زيادة على ذلك، في حالة انشغال إحدانا بالتركيز فقط على الحقوق الجنسية والحقوق الإنجابية وبرغم ضيق المساحات المتاحة للمناصرة والعمل استراتيجيًا، يعظّم من التحديات ندرةُ وجود مصادر معرفة باللغة العربية تشرح خبرات من سبقونا. وحتى لا تُستَنزَف طاقتنا في اختراع العجلة، نكتب هنا والآن لنرسم خريطة محلية لحدود ومحدودية سياسات الجنس والإنجاب في مصر. سبقنا نسوياتٌ خرجن من الحركات الطلابية منذ عقود، وشكلن خطابات وجدليات أكثر تقدميةً وطموحًا عما نصادف اليوم من مقاومات فردية وجماعية وتخيلات عن سقف طموحاتنا المُذَكِّر بان "احنا في مصر". ولهذا السبب جاءت هذه الورقة، لترصد مشاعرنا ودوافعنا بغير معزل عن السياق السياسي وديناميكيات المجتمع المدني.

أغلب من حاورت يتخذ من القاهرة قاعدة لعمله/ها. تشغلني الجغرافيا وتغيّر ملامحها، فمنذ 25 عاما استضافت مدينة القاهرة المؤتمر الدولي للسكان والتنمية (ICPD)، ولهذا الحدث تحديدًا أهمية تاريخية، حيث شُكل خلاله تعريف "الحقوق الإنجابية" لأول مرة. وعلى هامشه بدأت مناقشات هزال

"الحقوق الإنجابية"، وأُطُر عملها للنساء السود في الولايات المتحدة الأمريكية. وخرج للعالم بعدها إطار آخر قائم على العدالة الاجتماعية والتقاطعية، يسمى "العدالة الإنجابية". جزء من ضيقي بعدم توفر أدبيات كافية باللغة العربية تسرد تفاصيل التحضير والتنظيم لهذا المؤتمر، يتفاقم مع تنجيمنا لكيف خفتت قيادة النسويات المصريات اللاتي ساهمن في جعل هذا المؤتمر حدثًا ومرجعًا تاريخيًا، يستشهد به كل من يعمل في المنصات الدولية على تحضير سياسات تخص النساء والسكان والتنمية. يصبح التخمين غير مقيدا بالزمان والمكان، غير حقيقيًا كونه مقروء بمؤثرات ومعطيات سياق اليوم.

الانشغال بالشأن العام هو حق من حقوق المواطنة. وحصره في أدوار تطوعية هو تسكين آلام مجتمعية ناتجة عن غياب العدالة الاجتماعية. ثمانية ممن حاورت بدأوا عملهم في الأنشطة اللاصفية في المدرسة وفي الجامعة. في تجربة مالك، لم يكترث خلال سنوات تطوعه التي بدأت عام 2012 بقولبة دوافعه الشخصية داخل إطار حقوقي، أو حتى الارتباط الذهني بأن الموقع الفعلي لوقته وتطوعه هو داخل المجتمع المدني. بالنسبة له هو كان متأثرا كونه طالب طب، وما يترتب على ذلك من مسئولية مجتمعية. وقت حديثنا، أبرز الدهشة التي أصابته في الفترة بين 2012 و2013 وقتما شيطن الجو العام كل من عمل بالمجتمع المدني. وكانت أول مرة يسمع مالك بـ "التمويل الأجنبي"، نبعت دهشته من قلة ما كسب ماديا من دوره التطوعي في الندوات التوعوية كطبيب. في رأيه، لم تكن تغطية نفقات تنقله (80 جنيها مصريا) مرادفة لـ "تمويل أجنبي". كيف ترسّب في الوعي الجمعي ارتباط العمل العام بالمنفعة الشخصية؟ في هذه الفترة، ذُعِر مالك وتوقف عن التطوع لفترة وعاد لممارسة الطب لمدة ثلاث سنوات، عاود بعدها الانشغال بالصحة والحقوق الجنسية.

اختلفت تجربة ماري، وهي عضوة مؤسسة لجمعية قاعدية في جنوب مصر، بدأت مع زميلات كنيستها بمشغل خياطة. وتغيرت ملامح نشاطهن المجتمعي ليصبح كوافير. والآن، بعد سبع سنوات، تحوّل لمؤسسة تقدم خدمات محو أمية وتوعية بالصحة وورش فنون. حميمية المجتمعات الصغيرة تجلب امتعاضات مجتمعية وعائلية في بعض الأحيان، لا نستشعر حدتها في المركز، إذ يعجز المحيطون عن فهم فحوى النشاطات الخارجة عما هو مقبول ومألوف، مثل خدمة المُسنات والأيتام؛ أو بمعنى أصح كل ما هو ليس بالأساس خيري. ولعهن بالفنون قوبل بردود أفعال من طبيعة بتلعبوا في الحاجات الفاضية أو مش لاقيين حد يلمكوا! هذا يفوق تحدي الشيطنة المجتمعية المصاحب لكل من شغله الشأن العام، ويزيد عليه كونهن نساء حركتهن مقيدة بالحدود المجندرة.

الحقوق والصحة الجنسية والإنجابية هي مجموعة من الحقوق المترابطة ببعضها البعض، متمثلة في خدمات صحية وإتاحة معلومات دقيقة غير منحازة، وتغيير وإحلال قوانين وتشريعات مؤذية لحريات الفرد الجسدية. في شكلها المثالي، هي حزمة حقوق تتحقق بتحقق أركان أساسية أخرى، على سبيل المثال لا الحصر: اللامركزية والحق في الأرض والحق في التعبير عن الذات. تعمل مؤسسات الدولة وبعض القطاعات غير الحكومية بواحد من أعمدتها الأساسية، وهو "الصحة الإنجابية"، ليظل العمل حول الحقوق الإنجابية والصحة والحقوق الجنسية أمور غير محسوبة في الإطار القومي. هذا بالإضافة إلى عدم وجود تخصص تعليمي يتناول تصميم برامج تداخلات

مجتمعية للعمل حول الصحة الجنسية والصحة الإنجابية.

بالنسبة إلى زينة، الانشغال بالصحة الجنسية والانجابية خارج إطار النشاط الطلابي - والذي ركز على رفع الوعي - يدفع بالمناصرين إلى العشوائية في تخطيط تداخلاتهم المجتمعية. ومن بعد حصولها على درجة الماجستير، استأنفت زينة عملها بالصحة الإنجابية. ووقت مقابلتها، سيطر تساؤلها عن فائدة وأثر ما تقوم به. تقول زينة:

"كتير بفكر أسيب المؤسسات الدولية وأشتغل مع منظمة محلية مرتبط شغلها بمجتمع محلي عشان أحس بأهمية دوري. بيروقراطية التقارير اللازمة من الجهات الشريكة، بنهاية اليوم بنسي الدافع الأساسي للعمل في التنمية."

ساق خلود اهتمامُها بالتوعية بأضرار الختان، خلفا لجدتها التي كرست حياتها لقيادة حملات توعية ضد الختان، بعد أن تضررت بناتها من الختان في واحدة من مدن الصعيد. تطوعت خلود في إحدى مبادرات التصدي للتحرش في 2011، ومن بعدها انسجمت خلفيتها العلمية وموروث جدتها، حتى تحول مسارها من طبيبة بشرية إلى قيادة أبحاث وبرامج تنموية تتناول فيروس نقص المناعة البشري وتنظيم الأسرة. في بدايتها، قادت خلود برنامج تصدي للختان من خلال إحدى المنظمات الحقوقية.

"كنت حاسة بمخاطرة؛ بعملي في منظمة حقوقية، خصوصًا اني مش بشتغل على حاجة سياسية وممكن أتاخد في الرجلين..عارفة لو بشتغل على الإجهاض وكان هو سبب مخاطرتي بأماني هقول ماشي. بس أنا مش عايزة أتاخد في قضية مش بتاعتي."

يشارك مالك خلود الخلفية العلمية، وتمثل له سنوات ثورة يناير مسار معرفي موازي سلكه بلا تخطيط مسبق. اهتمامه الشخصي تجسد في التطوع بإدارة ندوات توعوية من خلال إحدى أهم المنظمات العاملة بالصحة الإنجابية وقتها. لم يتسنى لمالك (نظرا لحدود دوره التطوعي) الاجتماع بقيادات تلك المنظمة، وكان دوره لا يُملي عليه الحذر كما طرأ عليه من تحذيرات دوائره الاجتماعية بالابتعاد عن "المجتمع المدني" القائم على التمويلات الأجنبية والأجندات الخارجية، وكل ما شابه تلك السرديات المُشيطنة. ابتعد مالك لفترة و"صحح" مساره المهني ليعاود ممارسة الطب.

تعرفتُ على أمل وقت تنسيقي لبرنامج صحة إنجابية كانت هي منسقته المحلية. المشروع اتخذ من مراكز صعيدية وجهة أنشطته التوعوية عن (سرطان الثدي - تنظيم الأسرة - رعاية ما قبل الولادة). قابلتها في 2019 بعد عزوفها في الاستمرار في القيام بمهام تنسيق محلية. كانت البداية بالنسبة لأمل في 2013، وكانت وقتها طالبة جامعية تدرس في كلية الآداب، رافقها الإحساس بالاختلاف عن بنات جيلها. وقت تنسيقها للأنشطة التوعوية، ساد الانطباع حولها ان محدش بيقولها رايحة فين وجاية منين وهو غير حقيقي، هي فقط لم تعلن مفاوضاتها مع عائلتها للعالم. كانت البداية وقت

صادفت مصطلح "جندر" على الفيسبوك، ساقها فضولها للمشاركة في "تدريب عن النوع الاجتماعي" بترشيح من صديق لها. سألتها إذا عثرت في التدريبات على إجابة عن "الجندر"، لم تُجبني وانتهزت الفرصة للحديث عن انزعاجها من المشاركين في ذلك التدريب الذي شاركت فيه؛ بدا وكأنهم على دراية بعدم جدوى تلك الورش؛ ففي النهاية هم أرقام في تقارير مكتوبة، ويبقى لا صدى لهم في الواقع. بثقة يصممون مبادرات مجتمعية، ورغم حماسهم لتطبيق معرفة اكتسبوها خلال التدريبات، يعرفون مصيرها في أدراج منسقي البرامج والتدريبات. استطردت في حديثها تذكرني بالبرنامج الذي كنت أعمل منسقة له، الندوات التي كانت تنسقها محليًا كنا نقوم بالتخطيط لها من مقر المؤسسة في القاهرة في شكل أرقام (س عدد ندوات، يحضره ص عدد مشاركات، في خلال الفترة من كذا لكذا، في المنطقة أ) ضاقت أمل بتنسيق ندوات يحضرها نفس الناس ولا يتغير فكرهم أو توجههم، تراه بديهي لأن الضيوف المحاضرين من الدكاترة لم يبدو عليهم الاهتمام الكافي، تشابهوا بالنسبة لها مع مشاركين "ورش الجندر" في تأديتهم الواجب.

"أنا عارفة ان الحقوق بتاخد وقت عشان نجيبها .. حتى في المبادرات المجتمعية مردودها مش وقتي، بس أنا مش عايزة أشارك في تمثيلية؛ بروح تدريبات أسمع حاجات الناس عارفاها."

بدأت زينة رحلتها أثناء دراستها الجامعية، متأثرة بمرض والدها بالسكري الذي كان دافعًا كافيًا للانشغال بالتوعية بوسائل الوقاية منه بجانب دراستها. وبادرت لبناء منصة إلكترونية تعرض محتوى باللغة العربية عن "الختان" و"فيروس نقص المناعة البشري" تستعرض معلومات طبية دقيقة.

"وقت دراستي، كنت حاسة بفجوة بين حملات التوعية وبين استدامة المعرفة. كنت عايزة أعمل مدونة بالعربي اونلاين فيها معلومات طبية دقيقة عن فيروس نقص المناعة البشري والختان؛ لأني كنت كل ما بدور عليهم بالعربي كان المحتوى يناقش الفيروس كأنه "غضب من ربنا" والختان كأنه" طهارة"."

بعد سنوات من عمل زينة المستمر على مواضيع متنوعة، على رأسها "الختان"، تقوم حاليًا بتتبع أثر برامج التوعية في محافظات عدة خارج القاهرة ضمن عملها في منظمة دولية.

"لازم نفكر هتشتغل ازاي بخطوات واضحة، مفيش حد بيغير حاجة بين يوم وليلة، نظام قلب الكون ده جربناه ومنفعش *(إشارة إلى 2011)*. أنا لما بكون وسط صحابي وأتكلم عن الإجهاض هم بيتغيروا حواليا، احنا نفسنا مش بنتكلم مع الناس اللي حوالينا كفاية في آرائنا."

في طرحنا لاحتمالية بناء حراك حول الحقوق الجنسية والإنجابية، وفي إشارة لضرورة التراجع عن الاستثمار في "الحلول السهلة"، ترى زينة مشاريع رفع الوعي غير مؤثرة، خصوصًا أن أغلبها في سياقنا لا علاقة له باحتياجات المجتمعات التي يتم التدخل فيها، وتكون مبنية على حسب ترتيب

أولويات الممولين. مشاريع رفع الوعي بالصحة الإنجابية لا يتبعها تقييم حقيقي لأثر الأنشطة التي يتم تنفيذها، بالإضافة إلى تنفيذها في أغلب الأحيان دون الاعتماد على الاحتياجات الحقيقية للناس (المجموعات المقصودة). تشاركها خلود الرأي بخصوص النموذج الشائع لرفع الوعي المألوف لكل من عمل بالصحة الإنجابية: ورش تدريب مدربين، يتبعها ندوات يحاضر بها أطباء، وجلسات بها رجال دين.

يستكمل مصطفى دراسته في الخارج بعد إتمام الامتياز بكلية الطب، وقت تقابلنا الشتاء الماضي شهدنا سويا على النقاط المحورية للتغيير في رحلته المعرفية. من وقت حضوره اللقاءات الجماعية[2]، كيف تغيرت توجهاته نحو ترتيب الأولويات؛ من يحق له الإملاء علينا الوقت المناسب لمناقشة الحقوق الجنسية أو المناصرة من أجل الاستمتاع بها. وأن في التوعية بسرطان الثدي ضرورة مثلها مثل قنوات للتعبير عن هويتنا الجنسية والجندرية، ولا تسبق إحداهما الاخرى. كان تذكار لطيف لمقاومة الإحباط وتذكرة أننا نسلك مسارات مختلفة، وأن في بناء الحراك توجهات مختلفة تسعى لتحقيق نفس الهدف. ومع بديهيات هذا الإدراك يسهُل لنا أحيانا الاستسلام لسقف "احنا في مصر" مع تخييم الإحباط وقلة الحيلة وحجم تخيلنا، خلافا لما يمكن تحقيقه عندما تستمر نقاشاتنا ومفاوضاتنا سويا.
كانت مساحات خلود للتعبير عن الرأي بعفوية وقت الثورة هي فيسبوك وتويتر، سواء للتواجد سياسيًا أو مشاركة آرائها الشخصية، قبل أن تقوم الرقابة الذاتية بانتقاء مايصلح للمشاركة علنًا ولا يتبعه عواقب أمنية في الأشهر الحالية. على العكس، يرى مصطفى اليوم في "خناقات الفيسبوك" فرصة لتناول معتقدات راسخة صعب تغييرها "على الأرض" ومساحة للتدخل في آراء متعصبة مثلما كان الحال في 2017 وحتى الآن.

"أنا مقتنع ان فيه فرصة لما الناس بتتجادل على الفيسبوك، فيه فرصة ان الناس تعرف ان مفيش رأي واحد متفق عليه، مثال على ده وقت الخناق على تعدد الزوجات في تونس."

تردد اسم سارة حولي كلما تطرقنا لمقارنة غنى المحتوى بالانجليزية حول المشاعر والعلاقات الرومانسية، مقارنة باللغة العربية. لم أقابلها من قبل، ولم أطّلع على كتابتها إلا قبل مقابلتها للتحضير. سألتني لم وقع عليها الاختيارللمشاركة في المقابلة المتعمقة وفي رسم السياق، صارحتُها أن تأثُّري بها ثانوي؛ أنا متأثرة بتأثر صديقة لي، وكيف كان لسارة دور في سنوات مراهقة صديقتي من خلال مدونتها باللغة العربية التي بدأتها من قبل الثورة بسنوات. شاركتُ سارة الخلفية الجامعية، بدأنا في اللغويات وساقنا انفعالنا في تجاربنا الشخصية للعمل على الحقوق الجنسية، مع اختلاف أساليب تناولنا.

[2]جدليات الكرامة الجسدية - اختيار (2018)

"بدأت الكتابة في التلاتينات، جت صدفة. كنت بكتب وبتكلم بس بالانجليزي؛ العربي كان هو المجتمع."

كان في تجهيل هويتها اونلاين قناع للكلام بأريحية، وتنفيس لها عن غضب وخذلان مجتمعي نبع من قسوة تجاربها الشخصية. زادت شهرتها على الإنترنت وبدأت في الظهور خارج حدود كتاباتها المجهلة. وصاحب انكشاف وجهها وهويتها مراقبة ذاتية لما تشاركه مع جمهورها. اعتمدت على تجاربها الشخصية (وكان هذا سببا أخر لطلبي مقابلتها) في استخلاص نصائح لأُخريات، تشجعهن على رفض العنف النفسي والعاطفي من شركاء الحياة. وحركتها رغبتها في تحذيرهن من بوادر العلاقات المسيئة والتفاصيل القمعية لنساء يعشن تحت مظلة الأبوية، إلى أن خيّم على وعيها استحالة "إنقاذ الآخرين"، ومعه شكها في جدوى استمرارها في أن تكون سخية في إعطاء استشارات عاطفية دون أن يتعاظم غضبها وإحباطها.

"كنت حاسة اني عاملة زي برامج الطبخ، الستات بتكتب وصفات أكل مبتعملهاش!"

الحقوق والصحة الجنسية والإنجابية (أو ما يعرف بالانجليزية sexual and reproductive health and rights) يُعامل كمجال عمل بشكل أو بأخر في بلدان عدة؛ تعمل مجموعات نسوية وكيانات مدافعة عن حقوق النساء ومنظمات تنموية حوله حسب احتياجات السياق المحلي لكل دولة. أما في السياق المصري، العمل على قضايا بعينها وتسليط الضوء عليها قد لا يساهم سوي في عزلها عن باقي القضايا المتعلقة بنفس الجسد. ينحصر في مصر الانشغال بالحقوق والصحة الجنسية والإنجابية على المجموعات النسوية، وعلى الأفراد ذوي الخلفيات الطبية، وعلى أجهزة الأمم المتحدة. بالتالي، وبالإضافة إلى تطبيب أجساد النساء، يلوح نمط مميز للسياق المصري، باهتمام خريجي الكليات العلمية بالصحة الجنسية والإنجابية لتناغمها مع بعض ما درسوا. وفي نفس الوقت، توفيرها بيئة عمل أفضل من ممارسة الطب. وبدا ذلك واضحا في مقارنة رسمها مالك بين وقت مزاولته الطب وبين طبيعة عمله فيما بعد مع مؤسسة دولية.

"الصراحة لقيت العالم مختلف تماما؛ مديريني بيسألوا لو فيه حاجة مضايقاني وكل شوية تقييم. وأنا كنت بشتغل في مستشفى بنام 7 دكاترة في غرفة مش عارفين نتنفس، والمكان مليان عقارب."

كرهت زينة عملها المحتمل كطبيبة من وقت دراستها الجامعية، لافتقاد هذه المهنة في تجربتها البعد الإنساني. بالنسبة لها، لطالما كان مُرضي - على الأقل نظريًا - تحسين معيشة طالبي الخدمات الصحية، إلى أن تعاملت مع واقع النظام الطبي في سنة الامتياز.

الشغل في التنمية بشكل عام لأنه بيوفر تعامل مباشر مع الناس، كان مُرضي ليا مهما كان مجهد ومهما خد من وقتي كطالبة طب، كنت حاسة انى بعمل حاجة. وقت الدراسة صُدمت من ان خمسة أو ستة طلبة تكشف على ست واحدة في نفس الوقت. ومقدرتش أتجاهل الإهانة في قسم النسا وكام

ايد بتتحط فيها. المشهد كان مقزز وصعب عليا تأييدي لمنظومة بتتعامل مع الناس كأنها أمراض. الطب في حد ذاته، ويمكن من خلال منظومة بديلة، كنت أحب أكون جزء منه؛ لأن فيه فرصة تفعيل الوقاية من الظواهر المؤذية والأمراض من قبل تفشيها. بنشوف ده في شغلنا في التنمية، كتير بنكون وصلنا (المستفيدين) متأخر، في الطب فرصة للحد من التفاقم الأمراض.

وفوق ذلك تفاصيل العمل داخل المنظومة الطبية بالنسبة إلى زينة في محاولة استرداد حقوق المرضى، وفي نفس الوقت تفادي غضب أهالي المرضى، بجانب التنقل بين المباني لتسجيل الحضور والانصراف وإنجاز مهام ورقية.

"شغلي في التنمية بيديني فرصة أقنع الأهالي مثلا ميختنوش بناتهم؛ خلاص كدة حميت اتنين تلاتة (من الختان). وقت سنة الامتياز كنت بتهاجم لأني بقضي وقت طويل مع المرضى وكان فيه استغراب ليه مش بوصف الدوا وخلاص! وكأن الناس أمراض بنعالجها..في تجربتي المحادثات اللي دارت بيني وبين ستات كتير كان سبب رفضهم للدوا انهم مش فاهمين بياخدوه ليه."

ينحصر العمل في الصحة الجنسية والإنجابية في مصر إلى حد كبير على أصحاب العلوم، من لهم خلفية طبية، وكأن التجارب والدوافع الشخصية غير كافية لتوسيع المدارك وتخيل وضع نرسمه خارج مباني وزارة الصحة وكيانات الأمم المتحدة. وقع الاختيار على من حاورت (بجانب كونهم فاعلين مؤثرين في مواقعهم العملية) لأن أغلبهم درس في كليات الطب أو الصيدلة (7 من أصل 12)، ولأن في ذلك انعكاس من يوميات العمل على برامج رفع الوعي بالصحة الإنجابية في مصر. فمعظم الندوات التوعوية يقودها أطباء، وقد نتناول واقع تطبيب الصحة والحقوق الصحية في إصدارة أخرى. فحص زاوية الطب وأجساد النساء لا ينحصر فقط على سياقنا، نشارك مجتمعات حول العالم في ذلك ولا مفر من التساؤل فيمن له المؤهلات الكافية لإنتاج أبحاث وبيانات تدليلية تُبنى عليها السياسات الدولية، لتترجم إلى قوانين وتشريعات محلية. ليبقى السؤال: هل في تجارب النساء وتقاطعات القهر مادة كافية لتغيير سياسات دون الاستناد فقط إلى الدليل العلمي؟

كان الخوف حاضرًا في معظم المقابلات، أحيانا بملامح الترقب والحذر حول عواقب وآثار مساهمتنا، وأحيانا أخرى يصاحبه إحساس بالغرابة؛ وكأن الخوف هو الضريبة التي يدفعها بعضنا ممن ساقهم الفضول في مقتبل عمرهم للاستكشاف، والتوق للألفة مع أجسادنا واختيارنا العمل بالحقوق الجنسية والإنجابية في مصر. شعورنا بالخوف أحيانا يكون فردي جدا، وما يفرضه علينا من وحدة يدفعنا للانتباه إلى ضرورة التدخل في الظروف المهيئة لإعادة إنتاجه، مهمة رسمية لبعض منا. يرفض مالك أن يحدد الخوف لابنه ما يمكن استكشافه في العالم. ويمكن أيضا أن يكون الخوف إحساسًا مشتركًا وجماعيًا. سألتُ زينة عن استقبالها للعمل الحقوقي حول الصحة الجنسية والصحة الإنجابية في مصر. بالنسبة لها، أصبح حتى مجرد التفوه بكلمة "حقوق" ثمنه باهظ ويكلف حريتنا

في كثير من الأحيان. أما بالنسبة لمصطفى، هناك عوامل تشكيك في جدوى العمل على رفع الوعي حول الختان. على سبيل المثال:

"أنا ببقى خايف أكون ببيع الهوا للناس! بكلم الناس عن الختان بس لو واحدة قالت لي انها اتعرضت له وعايزة حل! معنديش للاسف حل. لوالقاعة فيها *50* شخص احتمال يكون فيه *40* اتعرضوا للختان. فلما أقول لهم معلش الختان بيأثر على الانبساط، أنا وصلت لهم رسالة ان الجنس مش هيكون ممتع."

اتخذت سهر من حديثي معها مساحة للاستطراد وفهم الدوافع التي تقودها للقيام بعملها منذ أن كانت طالبة مدرسية، تتعرف على فيروس نقص المناعة البشري، حتى اختارته مساحة للتعبير عن الذات وقت دراستها الجامعية. ومع الاختلاف بين دافعها الشخصي وواقع المتأثرين بالفيروس، تعتبر سهر التمييز السلبي الذي يواجهه المتأثرون بفيروس نقص المناعة البشري يعكس شعورها بالاغتراب وسط مجتمع نشأتها لمجرد اختلافها عن غيرها من بنات جيلها في توجهاتها وأفكارها وتطلعاتها. لا زالت سهر تستمد شغفها من الانشغال بفيروس نقص المناعة البشري والمتأثرين به. الهدف بالنسبة لها أن توفر لهم شعور - ولو محدود - بالقبول.
بمجرد التلميح إلى الجنس أو القرارات الإنجابية، نخاطر كأفراد في أسرنا وعائلاتنا الممتدة، بأن تكون دوما نقاشاتنا محتدمة. باختلاف أصولنا، يبقى العمل بالصحة الجنسية والإنجابية في مصر محمّل بالرفض، وبعضنا يختار مصطلحات أكثر قبولاً، مثل "تنظيم الأسرة" أو "الصحة". نخاطر على نطاق أوسع عند مركزة الجنس والإنجاب في عملنا، وتتضخم المخاطرة إذا كنا نساء عاملات بالحقوق الجنسية والإنجابية. نبهتني خلود إلى الضريبة التي ندفعها عند مطالبتنا بخدمات إجهاض آمنة وقانونية، وكيف يمكن الزج بسمعتنا كنساء نعيش في هذا السياق، واستحضرت كيف يسهل نعتنا "بالمنفلتات". وذلك على العكس تماما من تجربة مصطفى، الذي عند تمعنه النظر في خطواته السابقة، وكيف انتهى به الحال في اختيار التوعية بالصحة الجنسية كنشاط طلابي أثناء دراسته، زاد من شهرته بين زملائه ونظرتهم له على أنه "الواد البرنس". يبرز هذا الاختلاف كلما ابتعدنا جغرافيا عن مركزية القاهرة؛ فبالنسبة لـ أمل التي تسكن في مدينة صعيدية، وتنسّق مشروعات محلية للصحة الإنجابية، الضريبة المحسوبة عليها كونها امرأة كثيرة الحركة مقارنة بنساء أخريات، وبحكم مشاركتها في ورش تنمية مهارات أو تنسيق ندوات توعوية خارج حدود مدينتها.

في كل المقابلات، اخترت بداية تجميع بيانات عامة عن المشاركات والمشاركين. وللتمهيد، عبّرت عن فضولي تجاه كيف تصف المشاركات سيرتهن الذاتية، وإذا كان لهن اختيار كلمات مفتاحية للإشارة إلى اهتماماتهن. تبعها سؤال عما يجول في خاطرهن عند سماع مصطلح "حقوق" فيما يتعلق بالصحة الجنسية والإنجابية. فيما يلي استعراض لكل انطباع ارتبط لديهن بـ "الحقوق" وخاتمة بكلماتهن/م لتلك الورقة.

بفكر في عدالة، مساواة، قوة، مشاركة - هند

من حقي أرفض الإنجاب. ولو حصل وحملت من حقي الإجهاض. ومن حقي أمارس حياة جنسية خارج إطار الزواج - أمل

طول ما التناول للصحة الجنسية والصحة الإنجابية مكتسِب طابع علمي مش طابع نقدي، بتفضل الحقوق مُبهمة - سهر

الحرية، رفع السلطات عن الأفراد في اتخاذ القرار - مالك

حق الناس في اختيار كل حاجة تتعلق بصحتهم الجنسية والإنجابية، الحق في اختيار موانع الحمل، والحق في اختيار الشريك - منة

حقوق إيه! إحنا البنت عندنا مش بتعرف تركب عجلة... إحنا لسة بعاد - مصطفى

بالنسبة لي إن الستات تعرف أن لها اختيارات وهي تشوف وتختار، الحقوق الجنسية والحقوق الإنجابية هي حق الاختيار وحق المعرفة - ليلى

بيبجي في بالي الحق في التعبير عن النفس، وبيجي في بالي العدالة الاجتماعية - زينة

بفكر في الهوية الجنسية. بفكر في الإجهاض. بفكر في الختان - شادي

ليلى:
مُكتسَبات المناصرة

حوار تجريه نانا أبو السعود مع ليلى

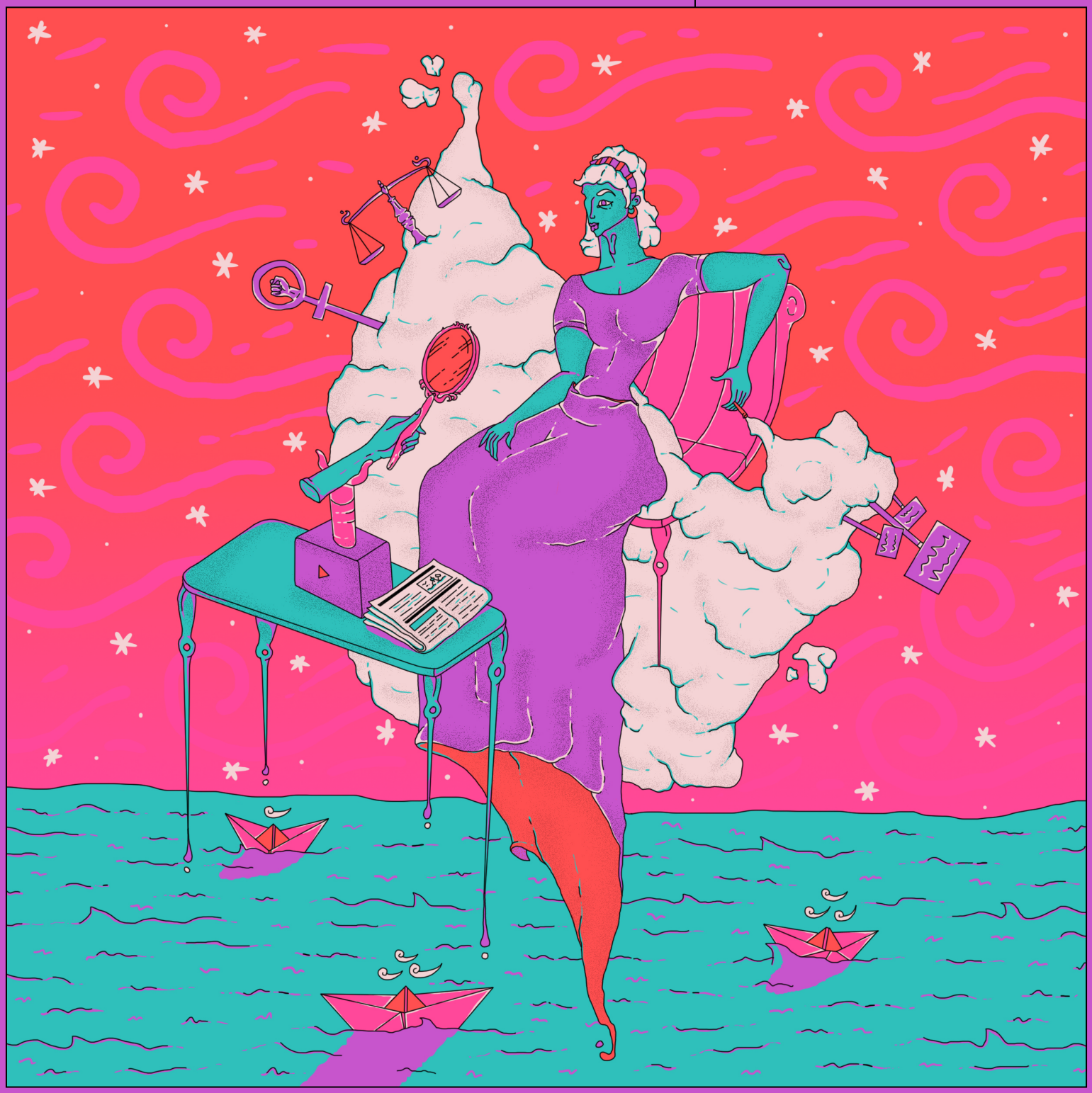

ليلى باحثة واستشارية نسوية بمجال الحقوق والصحة الجنسية والانجابية

ليلى باحثة واستشارية نسوية بمجال الحقوق والصحة الجنسية والانجابية.*

الكلمات المفتاحية: العدالة الاجتماعية، النوع الاجتماعي، الدعوة، والبحث

احكي لي عن البدايات،

بدأت أصلاً كصحفية، ومدخلي للعدالة الاجتماعية كان من خلال نشاطي السياسي. تزامنًا مع بداية اشتغالي بالصحافة كانت الانتفاضة الثانية في فلسطين. وقتها اتولد عندي اهتمام عام بالقانون الدولي. سنة 2002 ترمز لتمرير "نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية"[1]. توسمنا دورها في إيجاد حلول لقضايا مختلفة، على رأسها القضية الفلسطينية.

في نفس الوقت كان بيتبني مجتمع حول القضايا الإقليمية والقانون الدولي؛ أشخاصه مش بالضرورة كلهم ناشطين سياسيًا لكن على الأقل ناس مهتمة بمفهوم العدالة نفسه.
متوقع من الأفراد المنشغلة بمفهوم "العدالة" تتأمل محيطها السياسي الداخلي بجانب ما يحدث في الشأن الدولي. إحنا انشغلنا بفلسطين والعراق، وفيما بعد تطور انشغالنا بشئوننا الداخلية.

بدأت آخد خطوات لدراسة القانون الدولي، سواء لاستخدامه داخل مصر أو في قضايا بتشغلني دوليا. أو يعني الاتنين. اهتمامي زاد بمعرفتي لغة للتعبير عن قضايا مؤمنة بيها، فلم يعد يسعني دوري كصحفية "تسجل الأحداث".

بعرّف نفسي كنسوية، وكنت مدركة محددوية العمل بمفهوم "العدالة" خارج حدود إطار العمل بحقوق الإنسان. فكرت إن وجودي في المساحات غير العاملة بالمبادئ النسوية تقريبية لهدفي الأكبر، وهو دمج المبادئ النسوية في المساحات... مقتنعة التغيير مبيحصلش في يوم وليلة. وخلقت لنفسي عالم جوة العالم.

قضيت سنين بشارك في بناء نموذج عمل يقدر يوصل القضايا ببعضها. كان شائع تواجد منظمات منشغلة بحقوق المرأة ومنظمات منشغلة بالحقوق السياسية وحقوق المواطنة؛ المشاركة السياسية، حرية التعبير..إلخ كأنهم منفصلين عن بعض! وقتها كنا مفتقدين نموذج عمل شمولي. علمًا بأن القضايا كلها مترابطة، فصل المجتمع المدني للقضايا ساهم في إن الرؤية تكون غير مكتملة في الحديث عن قضايا المرأة، خاصة في عدم تطرقها للعدالة الاجتماعية والعدالة الاقتصادية.
ثورة يناير 2011غيّرت تفاصيل شغلنا اليومية ونموذج العمل المعنيين بترسيخه. الثورة غيرت ملامح العمل على قضايا النساء وقضايا الجندر. في وسط التغييرات اكتشفنا أن أساسيات العمل الحقوقي في مصر تقليدية، كتقسيم الأمم المتحدة لمسارات العمل (مناسبة لزمن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان سنة 1945). الطريقة التقليدية بتفصل الحقوق المدنية والسياسية عن الحقوق الاقتصادية... كان إدراك محبط. مع توالي إحباطات انغلاق المجال العام وهزيمتنا في المراجعة

العالمية لبرنامج عمل المؤتمر الدولي للسكان والتنمية[2].

ابتعدت عن العمل فترة!

من موقعك كنسوية وباحثة معنية بالعدالة الاجتماعية، انطباعك ايه عن الوضع الحالي؟
بنشهد انغلاق شديد للمساحات العامة، وبالتبعية التحديات بتزيد. بابتعادي عن المجال العام عندي الفرصة أنظر بمرجعية للفترات السابقة وأدرك الضيق في حصرنا للإنجازات الجماعية في المكتسبات الكبيرة. مثلًا معايير النجاح لا تُختزل في تقنين الإجهاض فقط! وربط عدم تقنين الإجهاض بالفشل هو تحليل غير مكتمل. العمل لتحقيق العدالة الاجتماعية هو رحلة للتغيير، وكل الانتصارات هي مكتسبات. التغيير لا يحدده عناوين أخبار، ولا تخلقه ثورة! التغيير الحقيقي يبدأ بمكتسبات صغيرة، بمشاريع صغيرة على مدى طويل، تخلق سردية مختلفة. المعنيين بالتغيير الحقيقي يرسمون وسيرسمون مساحات تستوعب بطء خطوات التغيير.
ما أشبه إحباطات أوائل الألفينيات بانتكاسات اليوم! نسمع ونقول "مفيش أمل... مفيش فايدة... عمر الدنيا ما هتتتغير... اللي احنا بنعمله ده مالوش أي لازمة". بس الدنيا بتتغير، والدنيا هتتغير، ولازم احنا نبقى جاهزين، ولازم احنا نكون لسة موجودين عشان الدنيا تتغير.

احكي لي عن مشاريعك الحالية.

عملي في تحالف نسويات من الجنوب العالمي هو تجسيد لشغفي بالعدالة، من خلاله بنسلط الضوء على ما قد يبدو بديهي ونعبر عن غير المنطوق. في السنين الأخيرة ركزت مجموعات نسوية ومجموعات عاملة بحقوق الإنسان كل المجهودات لتمرير قوانين تلفظ العنف الجندري والعنف ضد المرأة، وكل مشاريع القوانين تعتبر مكتسبات "إلى حدٍ ما" حتى نفهم الواقع الذي تعيشه امرأة تختار "تختين" ابنتها. هي - على الأغلب - مرت هي كمان بالتجربة وهي في عمر ابنتها. احنا عارفين انها على دراية بالألم، وفاهمين أن الاتكال على القانون بمفرده لتغيير سلوكها أمر مستبعد - ويمكن مستحيل - حدوثه. القانون مش كافي إنه يخليها تغير رأيها خالص.
دورنا لا ينحصر في كتابة مسودات قانون. دورنا أهميته تقع في محاورتها. ولا أعني محاورتها من أجل الإقناع فقط؛ أقصد محاورتها بهدف الإنصات لها، وإيجاد مساحة تسمح لها بتغيير رأيها، وتكون نبرة غير تهديدية لو قررت التمسك بخطتها! في الأول وفي الآخر يبقى هذا هو الواقع لبعض الناس. وفي رأيي، دورنا ليس مهاجمة الواقع، بالعكس محاولة فهمه والتفاعل معه لتغييره.
خلينا نتخيل إنها غير مقتنعة بتختين ابنتها. هي ممكن تكون مقتنعة أن المجتمع وتقاليده وعاداته أكبر من ألم ابنتها. كلها احتمالات واردة. تغيير السرديات والخطابات حول الواقع هو الأصعب، لكنه الأمثل. لكن هذا هو التغيير الذي يجب أن نعمل من أجله كل يوم، ويكون الهدف الأسمى من عملنا. هدفنا لا يتحقق بانخفاض تجارب الختان واحد أو اثنين في المئة. هدفنا هو بالفعل أن ترفض الناس كلها توارث عادات وتقاليد كتلك.
ما دلالة مصطلح"حقوق" في سياق "الحقوق والصحة الجنسية والإنجابية"؟

في تجربتي في المناصرة الدولية، ممكن ناخد من المؤتمر الدولي للسكان والتنمية مثال. مصطلح "حقوق" في هذه المساحة هو أرض معركة، بين المناصرات وبين الوفود الرسمية للدول المشاركة والمتمسكة بتوجهات محافظة. على سبيل المثال، عند الكلام على "موانع الحمل"، الدولة بتربطها بسرديات "تنظيم الأسرة"، مش حق الستات في الاختيار والتحكم في أجسامهن. بالنسبة لي، الأهم هو أن يكون في مقدرة كل النساء الاختيار! اتمسك بالبعد الحقوقي في سياق الصحة الجنسية والإنجابية. أتمسك به لأن الحقوق تأمن الاختيار وتظل اللغة أرض معركة. وده اللي بنشوفه عندما يحذف ممثلو الدول المحافظة الدلالة الحقوقية من مفرداتهم، ينزعون ضمان "حق الاختيار" و"حق المعرفة"، ويحددون سبل تحقيق العدالة بين النساء والفتيات، وبين المناطق المركزية وغير المركزية، وبين الفقير والغني.
مهم التركيز على خفض معدل وفيات الولادة، بنفس أهمية التركيز على جغرافية حدوثه. تبقى أعلى نسب وفيات فترة الولادة في المناطق الريفية. المناطق الريفية حيث تعيش أغلب النساء غير المتعلمات، واللاتي يسكنن مناطق تنقصها البنية التحتية. وفي هذه الحالة يصبح انخفاض المعدلات "مش انجاز". دليل آخر على التمييز بيننا كنساء هو كوننا في نفس الدولة في حين تتحكم المركزية في الخدمات التي نحصل عليها.

كوننا معنيين بتحقيق العدالة الاجتماعية لايعني ثباتنا على أرضية مشتركة من المرجعيات الحقوقية والأولويات. كلميني عن تجربتك في دعوة مجموعات أو أفراد أخرى للتحرك حول الحقوق الجنسية والانجابية.
الأولويات المشتركة الواحدة من أكبر التحديات. قبل الثورة، كان لا جدال حول أهمية إدراج الحقوق الجنسية والإنجابية في المحافل الدولية. بعد يناير 2011، تحول الاهتمام كليًا إلى ماهية تشكيل حكومة وتفعيل دور الأحزاب والإعلام والاتحادات العمالية، كل من منظور سياسي وليس من منظور حقوقي.
على مستوى المجتمع المدني، لم نحدد أولوياتنا كجمعيات ومنظمات. انشغلنا جدا بالأولويات السياسية ونسينا نطالب بحمايتنا.
مع تغير ملامح العمل العام بدأنا نقرر أولويتنا، وأهلكنا التردد بين الاكتفاء بالمجموعات المقدمة للخدمة وقتها، وبين العمل لتأمين المساحات العامة للنساء مع تفشي التحرش الجماعي الذي طال الناشطات أنفسهن. بالرجوع لهذه الفترة، أعتقد أن ما تغير بالفعل هو إدراك النشطاء أصحاب الأولويات السياسية بفاجعة عواقب تجاهل العنف الجنسي.
الإحباط سيطر علينا في تلك الفترة، خسرنا الكثير من المعارك، وأصبحت المساحات العامة مخيفة في نفس وقت أدراك أغلب المحتشدين في الميادين وقع العنف الجنسي.
العنف الجنسي الذي لم نتمكن من العمل عليه - نحن النسويات - طوال تلك الفترة لضعف أهميته السياسية على قائمة الأولويات.
ومع كل هذا لا أفقد الأمل. لست متفائلة بالضرورة، لكن من كل التجارب الماضية شهدنا الثورة تفتح أبواب لنسويات أخريات. نسويات غير "مشهورات"، نساء يرفضن القمع اليومي. وده مكسب! مكاسب الثورة عديدة وغير ملهمة لتتصدر العناوين مثل تغيير القوانين. اللحظة التي يرفض فيها

الناس غير المنشغلة بالشأن العام ما اعتدناه من القمع هي لحظة انتصار.

بالحديث عن التفاؤل، ماهي الفرص الحالية؟

نعيش حالة عامة من الملل والارهاق والخوف، وكل هذا مبرر. يؤخذ علينا في السنين السابقة إنشغالنا بالتشكيلات السياسية، وتركنا العمل المجتمعي والعمل الجماهيري. سمحنا بتعرضنا للتنميط والشيطنة، ونجحت الخطابات الهادفة لابعادنا عن ميادين العمل في تخويننا. أصبح مشكلتنا الأساسية هي عزوف الناس والمجتمعات الأخرى عن العمل معنا، رافضين محاورتنا والجلوس معنا.
بلاش نهجر العمل المجتمعي وميادين العمل، هنا درس من خسارة معركة. لازم نفتكر إن هذه حالة عامة من اليأس، لسنا وحدنا. في هذا دعوة بأن نتشبث بمواقعنا، ومواصلة العمل حتى نخلق مساحة أخرى تستوعب ضيقنا من كل هذه المشاعر.

آخر سؤال: بالتفكير في رحلتك، ماهي مكتساباتك الشخصية؟

أنا فخورة بوجودي وقت ثورة يناير 2011. شهدت جموع من الناس بتتكلم عن "الحرية" وعن "العدالة الاجتماعية"، وتستخدم مفردات ارتبطت ذهنيًا بالنشطاء والمعنيين بالشأن العام. كانت تجربة غنية، شاهدت في غضون أيام ما كان ممكن أن يتحقق وما في وسعنا تحقيقه. أنا قلقانة من هوجة الهجرة. لو مشيت أنا كمان قد لا أشهد تكرار التجربة. لست ساذجة ولا متفائلة فوق الحد، فقط تحضرني ذاكرة الإحباط في أوائل الألفينيات. ورغم إنهاكي ومعرفتي بحدود ما يمكن أن أشارك به حال تكرار التجربة، يبقى تحقيق العدالة الاجتماعية هو شغلي الشاغل.

مكتسب شخصي آخر هو الأمومة. اكتشفت الأُلفة الممكنة بين نسويتي وأمومتي. الأُلفة المحتملة في كوني امرأة مع كوني أم.
تجربتي مع الأمومة جسدت مفاهيم مختلفة، تفاعلت معها من خلال شغلي ومبادىء نسوية تمسكت بها.

* اسم مستعار
[1] اعتُمد "نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية" يوم 17 يوليو 1998 في مدينة روما، بهدف إقامة كيان دولي مستمر يتولى مهمة المحاسبة على ما تشهده الحروب والنزاعات المختلفة من انتهاكات واضحة للحقوق الأساسية التي كفلها القانون الدولي للإنسان.
[2] في عام 1994، مؤتمر القاهرة للسكان والتنمية كان بمثابة نقطة تحول في مسار التعامل وفهم وتأطير الصحة والحقوق الإنجابية، من خلال برنامج عمل القاهرة أصبح الأفراد مركز صناعة السياسات.

سَرد هِند

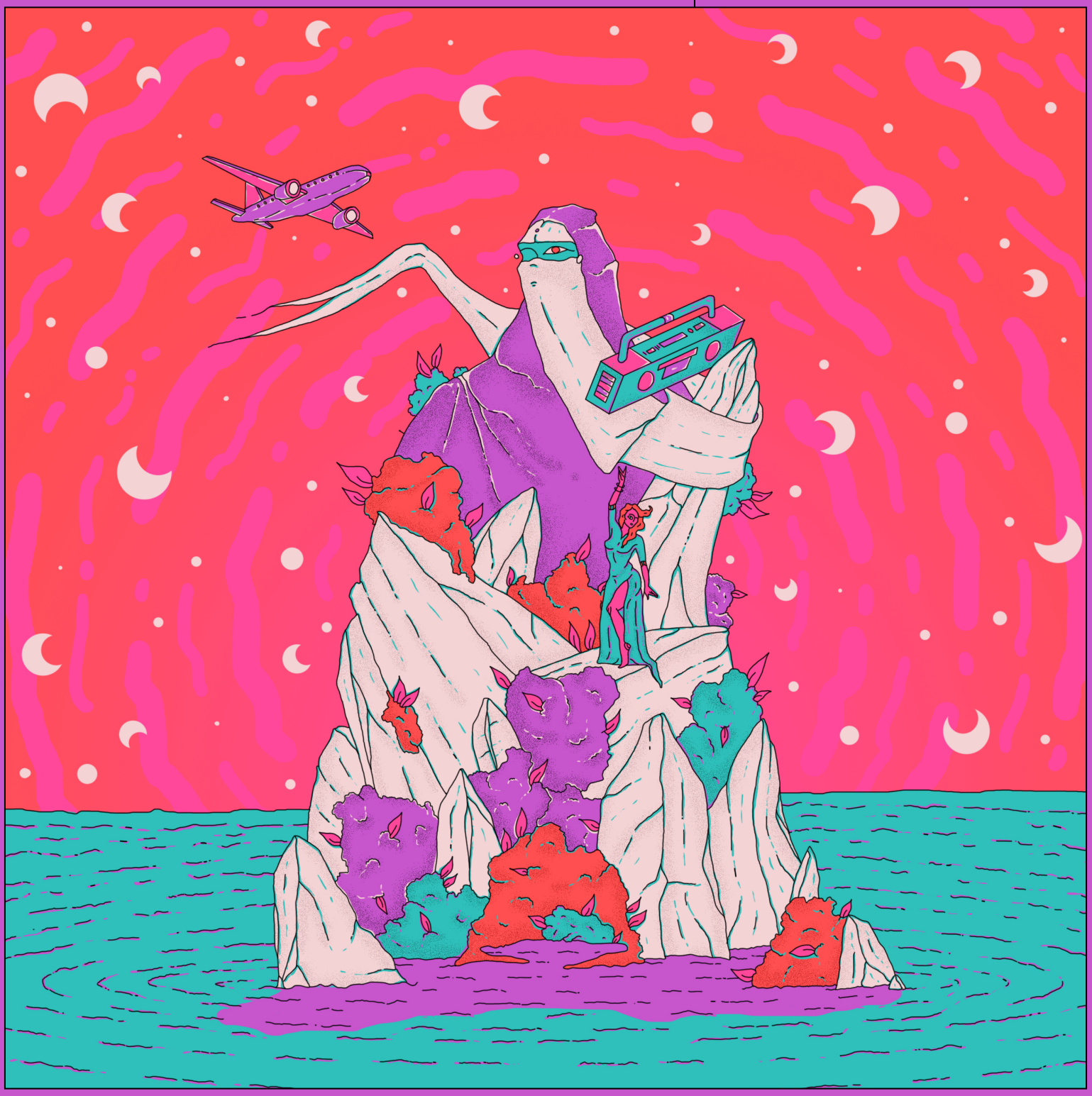

حلمت بجوزي بياخدني من ايدي وبيشاور علي حته تحت الكنبة في بيتنا، وبيحاول يقنعني إن تحتها في أرض ممكن أزرع فيها. ببص علي الارض لقيتها صخر وقلتله الارض ده بور مش حتطلع حاجة. فضل يزقني لتحت ويقولي جربي بس وأنا أقوله صدقني الأرض دي بور مش حينفع أزرع فيها حاجة مافيش منها أمل صدقني. فتحت عيني في بيتي على سريري وكنت لسه حاسه بالتقل على ضهري ورقبتي . حسيت بضهري واجعني كأنه مكانش حلم ... التقل ده مش حلم.

اتجوزت قبل ما أكمل ثانوي. كنت طفلة ١٧ سنة، معرفش الصح من الغلط. بعد ما اتجوزت وقعدت معاه ١٠ سنيين، حسيت إنه لا دا هو جوزي اللي أنا عوزاه، ولا دي الحياة اللي أنا عوزاها، لحد ما تعبت ورحت طلبت من جوزي الرجوع لمصر. ورده كان: "لأ احنا بنعمل فلوس كويسة هنا في السعودية". فقررت أرجع مصر بحجة إن أنا مريضة. شلت المرارة هنا في مصر وأنا عندي ٢٨ سنة، وكان معايا ٣ عيال. فلما بقيت في وسط أهلي حسيت إن أنا قوية وقولت مش راجعة السعودية تاني. ف الكل قال: "يا بنتي و جوزك!" قولت لهم "والله مش هرجع السعودية. واستحالة هكمل برا تاني".

جارتي جت تعزمني على خطوبة بنتها اللي كانت في تانية اعدادي! أنا طول الوقت في الخطوبة دي عمالة أعيّط .عايزة أقول لها انتي بترميها، يعني عيلة صغيرة تفهم إيه في الجواز دي!

قلت لها "طب ممكن أطلب منك طلب؟ متجوزيش بنتك دلوقت". قالت لي:" يا أبلة دول خمسة على قلبي، ده أنا ما حصدق أطلّع منهم واحدة." قلت لها "والله العظيم لو هتموت من الجوع عندك أحسن ما تموت من الجوع مع حد هي مش هتقبله أصلا لما تكبر،" وبدأت أكلمهم.. "ياجماعة يوم الجمعة بعد ما تخلصوا شغلكوا، أنا عاملة في البيت قعدة، تعالوا اقعدوا معايا". وقعدت أحكي لهم انه ما تطهروش البنات، الطهارة دي أصلا عادة ضارة جدا ، هتؤذي البنت مش حتفيدها زي ما انتوا متخيلين إن هي عفة ونضافة والحوارات دي خالص. وبدأت مجموعة منهم تسمعني.

كان في بنتين رايحين يختنوهم. وهم رايحين الدكتور وأنا وراهم أجري. قلتلهم "طب تعالوا نتكلم سوا. البنات خايفة... أحسن واحدة منهم تنزف من الخوف." المهم أخدتهم على جنب كده ووقفنا في محل واحدة بتبيع هدوم. قلت لهم:

"طب ايه المشكلة ان انتوا تسيبوها زي ما ربنا خلقها؟"

" لا يا أبلة انتي عاوزة بناتنا لما يكبروا يمشوا في البطال!"

قلت لهم: "بصوا طب في دكتورة صديقتي، كانت راجعة من برة وهي كانت زميلتي أصلا في ثانوي. ومن ساعة ما اتجوزنا و كل واحد فينا راح لحاله من ساعتها ما شفناش بعض. جيت قابلتها مرة في المترو، عرفنا بعض و سلمنا، والمهم انتي فين، قالت لي أنا في مركز بتاع تنظيم أسرة . بدأت أنا وهي ننفذ ندوات للسيدات، نعرفهم ان الختان ده مش الحاجة اللي هتعف بنتك ولا الكلام ده كله. بدأنا نجمع البنات اللي خلاص هيتجوزوا مثلا وهيخلفوا، أو اللي معاهم بنات صغيرين وقربوا يعملوا لهم الموضوع ده. لأن احنا عندنا في المنطقة البنات من تانية ابتدائي لحد رابعة بييجي فصل الصيف وياخدوهم طابور ويروحوا يطهروهم عند واحدة دكتورة. فأنا عرفتها الموضوع ده وبدأنا نروح نزور الستات اللي معاهم ولاد قربوا يعملوا الموضوع ده ونوعيهم. خليت الدكتورة تقنع عدد كبير منهم، بس كنا بنلاقي حد يصدنا، والناس بتضايقنا. راحت الدكتورة صديقتي قالت لي: "أنا

كان نفسي أكمل معاكي بس الناس هنا دماغها صعبة".
سافرت برا مصر وأنا عمالة أفكر؛ طب أنا هفضل كده! هسيب الناس دي تدمر نفسها وعيالها؟!
رحت بقول لقريبتي في مرة قاعدين سوا: "ما تيجي نعمل جمعية؟"
قالت لي "هو حد فينا فاضي؟ جمعية ايه اللي هنعملها!"
قلت لها "لا أنا اللي همسكها، بس أنا عاوزة أعضاء معايا. ناس أثق فيهم."
وفعلا جمعنا ٥ بطايق بتاعتنا ورحت عاملة ورق الجمعية... دا كان بعد الثورة بشوية.
كان في مجموعة دينية مسيسة جولي الأول بالحسنى، قالوا لي: "هنحط صورتك وهتبقي معانا في "الحزب" وناخد لك مكان ٥ أدوار وهنأسسهولك وتبقي تبعنا."
وأنا أصلا اكمني كنت عايشة في السعودية كنت لابسة نقاب، بس أنا النقاب على وشي مش على عقلي.
وبقى يجولي شيوخ وستات منتقبات يقولوا لي:
طب انتي ليه بتعملي كده؟
طب انتي مصلحتك ايه؟
انتي مين مديكي فلوس عشان تعملي فينا كده؟
قلت لهم: "أنا محدش مديني فلوس."
أنا مش عايزة أقول لها إن دي تجربة وأنا عشت مأساة، بس قولت لهم احنا عارفين إن الحاجة دي ضارة، ازاي هنسيب الناس تعملها؟
قالوا: لا بس حرام عليكي. الستات اللي انتي منعتيهم دول الدكتور عامل لهم تخفيض يجيبوا بنتين والتالتة ببلاش.
فجأة وأنا مروحة كانت عربية هـ تخبطني. بس أنا الحمد لله كنت رشيقة نطيت محصليش حاجة. بس عرفنا بقى ان ده كان حد مسلط "اخبطوها بعربية وهي ماشية." عايزين يخلصوا من البومة اللي عمالة تأدن في ودن الستات.

لحد ما حصلت حادثة شهيرة في ٢٠١٢، بنت كانت طالعة رابعة ابتدائي راحت عند الدكتور ونزفت كمية هائلة من الدم، وصلت لمرحلة الموت. وقسم الشرطة جه وعمل معاينة لقى العيادة مليانة دم ومبهدلة خالص. أبو البنت اشتكي لكن الدكتور متعاقبش. كان ليه حد في وزارة الصحة وراحوا خدوا أبو البنت و اتصالحوا، وقالوا عادي ما دام البنت لسة عايشة... البنت لحد دلوقتي ضعفانة جدا وقطفوها يا عيني.
أنا مريت بتجربة شخصية، ومش عاوزة غيري يتعرض لها. وقعدت أعمل ده بكل الوسائل اللي عندي. لو مش هعرف اتكلم مع الستات بالطريقة اللي هم عاوزينها، هجيب لهم حد يقول لهم الكلام ده. جبت شيوخ وجبت دكاترة عشان يقنعوا السيدات ان الختان عادة ضارة... حاولت على قد ما أقدر.
حاليا مفيش دكاترة في المنطقة بتعمل ده لأن احنا واقفين بالمرصاد. في الموسم بتاع الختان ده بنكرس يمكن كل أسبوع ندوة، وأجيب ناس يتكلموا مع البنات في المدارس وعرفناهم نجدة الطفل، وطريقة التصرف لو في أي حد فيهم اتعرض لحاجة.

في منطقة مش قادرة اقتحمها وهي جواز البنات في الجزيرة. الجزيرة دي أهلها منعزلين جوا المياه، حتى في الجواز مبيكتبوش بـ مأذون، ده جواز كده زي زمان بس يعزموا أهل المنطقة ويفرحوا والبنت تتجوز وخلاص. البنت بتكون مواليد ٢٠٠٣ ومعاها بيبي عنده سنة ونص!

أنا عاوزة أجيلهم من حتة قانونية. دلوقتي هي مش معاها وثيقة زواج والبيبي ده اتولد، هتكتبوه فين، هتسجلوه؟ يعني انتي طالما بنتك لسه مكملتش سن الجواز يبقى مش هيطلع لها قسيمة جواز. المأذون مش هيعرف يطلعها لو اتنطط حتى. العيلة دي بعد ١٠ سنيين بالظبط لا هتبقى عاوزة وجوزها ولا ولادها. هتبقى اتغيرت ومفاهيمها اختلفت.

في المنطقة هنا في مشاكل أسرية، جاية من ان الراجل قاعد في البيت ومفيش لا شغلة ولا مشغلة. والستات ينزلوا يشتغلوا ويمسحوا في البيوت والرجالة تضرب فيها ليل نهار، وياخدوا منهم الفلوس عشان يجيبوا سجاير... بيأنتخوا في البيت والست تشتغل!

فبدأنا نعمل لهم حرف يدوية ييجوا يتدربوا عندنا. وبعد ما يخلصوا نقعد نحكي؛ عملتوا ايه؟ طب انتي لما روحتي وانتي واخداله لحمة مثلا، اشترتيها بعد ما اشتغلتي، عمل ايه؟

منهم اللي ترد تقول: "والله يا أبلة طفح وضربني. والله يا أبلة شد شعري وأنا بطبخ وحطهولي في بقي."

الرجالة هنا كلها بتستعطى مخدرات. والستات يا عيني لا حول لها ولا قوة. وكمان لو عملوا تحليل فيروسات هيلاقوا عندهم بلاوي زرقة. يعني أنا حتى لما واحدة تيجي تشتغل في بيت تقولي دا صاحب البيت اغتصبها ونام معاها. دا بيحصل في أبراج عالية بتبص على النيل. بياخدوا الخدم من المنطقة هنا. لازم اللي بياخدوها يغتصبوها وينامو معاها و يبتزوها. توصل الواحدة لمرحلة ان يتعمل كل ده فيها عشان خاطر لقمة العيش. في أوقات نقفل علينا الجمعية هنا ويبقوا ٥ - ٦ ستات عمالين يعيطوا وحزنانين. فأروح مشغلة لهم أغاني "يالا نرقص يا بنات،" ما أنا جه عليا وقت مريت بالظروف دي وملقتش حد للاسف لا شغللي تسجيل يقولي تعالي ارقصي، ولا لقيت حد يطبطب عليا في الغربة وأنا لوحدي وبطولي.

الستات بيصعبوا عليا اوي و ببقى حاسة ان هم عملوا ايه عشان يتعمل فيهم كل ده! نفسي أعمل حاجة خاصة بالمرأة وبالحقوق الجنسية. جلسات أو ندوات بشكل مصغر لمجموعة من السيدات اللي حاصل معاهم مشاكل. والكلام اللي احنا بنقوله هيكون أكثر سرية. ونحاول نساعدهم.

مجموعة منهم لما قعدنا نتكلم عن هل بتاخدوا حقكوا وانتوا نايمين؟ في ناس كتير ميعرفوش ان ليهم حق ياخدوه... ان هي تنبسط. لو الست واخدة حقها في السرير مع جوزها، أعتقد كانت الدنيا هتهون شوية. لكن لا واخدة حقي في الدنيا ولا مبسوطة. وبعدين احنا المجتمعات الفقيرة دي الحاجة اللي بتعمل سعادة العلاقة الزوجية. فان هي مش عارفة تتبسط بيها، مش عارفة تاخدها، دي بتحز أوي في نفس الواحدة يعني. طب أروح فين وآجي منين! يعني معلش يبقى مبهدلها وضاربها، وييجي بالليل يروح ينام معاها!

مبحطش حاجة في دماغي غير لما تتعمل. يعني مثلا في مقلب زبالة. مقلب الزبالة ده أنا بعون الله قبل ما ييجي نص ٢٠١٩ هكون عملاه جنينة. المكان ده عبارة عن دايرة ينفع تتعمل ميدان. لو اتعملت ميدان هتحيي المكان كويس جدا. عاوزة أعمله جنينة عشان الناس الغلابة تقعد في مكان حلو.

دي واحدة قالت لي إن بنتها خطوبتها اتفسخت عشان مقلب الزبالة ده!
بعد ما عملوا الخطوبة وجاي العريس وجايب أهله، وهو داخل في مقلب زبالة كبير، فقال لها "ايه ده! انتي مخلياني أجيب أبويا مدير المدرسة (هو من حتة برة المنطقة) ييجوا يخشوا المكان ده؟" بنتها اتفسخت خطوبتها بعد أسبوع. الناس غلابة ومن حقها تشوف منظر جمالي.
أنا زي أي أم بتمنى ولادي يتعلموا كويس - بالذات البنات - وياخدوا فرص حلوة. يسافروا برة يحضروا حاجات تخليهم أكثر ثقة في نفسهم، وميخافوش من حاجة. واللي أنا عملته في طفولتهم هو اني حبيتهم واحتويتهم ومعملتش أي حاجة من اللي اتعملت فيّا. مش معقولة أخليهم يمروا بالتجارب السيئة اللي مريت بيها. وحاولت أعوضهم عن حاجات كتير مخدوهاش زي ماهم عايزين.
الصبيان بحاول أقرب منهم، وبحاول أحتويهم على قد ما أقدر.
دلوقتي مركزة مع بنتي اللي في ثانوية عامة عشان تجيب مجموع وتدخل كلية تسهل لها الشغل بعدين. وبشجعها انها تشتغل. وموضوع الجواز والارتباط بقولها زي ما يجي، ان شا الله يجي وانتي عندك أربعين سنة، المهم انك تعيشي حياتك صح. الحياة مش بس جواز وارتباط، الحياة نجاح في الشغل ونجاح في علاقات كويسة في المجتمع المحيط بيها. بتمني انها تسافر برة حتي لو هي بتدرس طالما فرصة كويسة. بتمني تخرج من القالب التقليدي للبنت، مش هتدخل طالما هي راضية.
أما بنتي الصغيرة فهي موهوبة. بتمني اني أعرف اخليها تستثمر مواهبها. أنا استحملت حياتي عشان خاطرهم وعشان يعيشوا في جو أكثر ألفه ومحبة، ويروحوا لحتت كويسة في التعليم، بالذات البنات.
نفسي أتطلق. نفسي أموت وأنا منفصلة. مش عاوزة أموت وأنا على ذمته. الموضوع ده عامل لي غصة في قلبي. أنا حاسة اني لو انفصلت هبقى أخدت حقي. دي أمنيتي الشخصية، بطلبها من ربنا دايما.
كنت متخيلة انه لما يرجع يعيش في مصر الدنيا هتختلف. مفيش تفاهم بيننا. فرق بيني وبينه ١٠ سنين. أنا عندي ٤٠ سنة وهو عنده ٥٠ سنة دلوقتي. عمرنا ما أكلنا مع بعض ولا شربنا، يعني طول الوقت أنا هنا في الشغل، بروح البيت أخش أوضتي. لو أنا عايزة آكل هآكل، لو مش عاوزة هنام وهو مبيكلمنيش.. طب ايه لزوم الحياة دي! الواحد يا يعيش صح يا ما يعيشهاش.

چی

ترجمة و إعـادة كتابة: أميرة نجـاتي

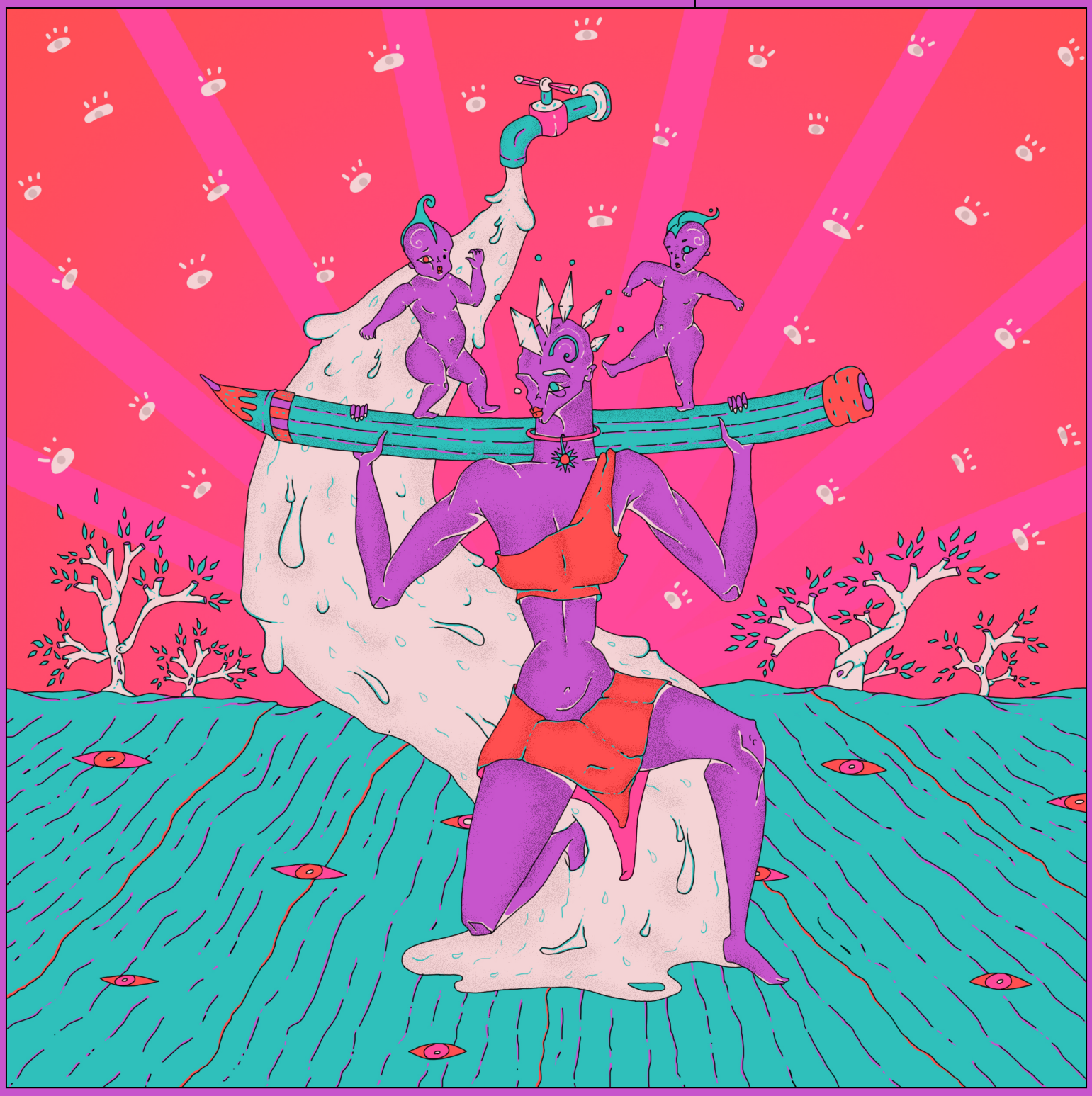

الكاتبة: ماري لي بيندولف

ترجمة و إعـادة كتابة: أمـيرة نجـاتي

عيلاتنا هنا في الجنوب[1] بنحب نقضي الحاجات سوا. يعني، أما نفلح الأرض نفلح سوا، وستات العيلة بيتلموا يرقعوا اللحاف. أياميها، كانوا يفلحوا تلات شهور، ولما تيجي الأيام المريَّحة على أواخر مايو، يونيو، يقطعوا الرقع. في أغسطس يرجعوا الغيط. أكتوبر ونوفمبر، لحد ديسمبر، ويعدي العيد وراس السنة، ويرجعوا للترقيع والخياطة. تقطع لوحدك، ونرقع سوا.
أول حاجة لما تيجي تشتغل اللحاف، تضرب القطن عالأرض عشان التراب يقوم، وبعدين تكنس الأرض، وتجمع القطن، وتفرش البطانة، وتفرش عليها القطن تاني، تضربه، وتحط عليه الوش، وتقوم واخد الإبرة والخيط، وتسرجه في البرواز.
معظم العيلات هنا كانت بتعمل نفس الكلام، يقطعوا لوحديهم، ويتجمعوا عشان يرقعوا. من نحيتي، في عيليتنا، بنجري في الأمور، ما نمشيش على رسم ولا تفصيلة ولا غيره. العيلات التانية كانوا ياخدوا راحتهم، شغل عالهادي. ما كانوش بيسافروا عالطريق زينا. إحنا يا دوبك نخيط كله في كله ونخلص. ولا نفصل ولا نقسم. بيسموا اللي زي كده "اللحاف المجنون"، ماتعرفش ده مقبل ولا مبحر. عمري ما مشيت على باترون، ولا أي حد في عيليتنا. أنا شغلي أقرب لخالتي "لويلا"، وبرضو مافيش حد بيخيط زيي. كنت أتفرج على أمي لما كانت بتقدر تشتغل، حتى هي كانت تخيط على مهل أكتر مني.
ستاتنا اللي كانوا بيشتغلوا اللحاف كانوا كتير وفي كل حتة: أمي وأختها "لويلا باتواي" ، وبنات "ليندا"، "لوسي ويذرسبون" و"جلوريا هوبنس" وحماتي "إنديانا بندولف باتواي". أختي "ليلي ماي" كانت بتشتغل شغل جميل في اللحاف قبل ما تموت.
بنت خالة أمي "دبورا يانج" كان شغلها حلو برضو، وبنتها "أركولا". بنتي "إسي" شغلها حلو من وهي صغيرة. بنت دماغها راسية، إصرار. بتحب تشتغل زي شغلي، لكن تعاين الشغل كده وبعدين ترجع البيت وتخليه أحسن.
أبويا كان اسمه "ويزدام موسلي"، ,امي اسمها "أولار موسلي". كانت شاطرة تداوي الناس. كانت ست جميلة وحنينة. تروح الغاب وتلم حاجات- ماخدتش منها أنا الحتة دي، مافهمش فيها- وتخلطهم سوا وتديهولنا، كان يطيبنا. ما نروحش للدكتور إلا في وجع السنان (ما كانتش تعرف تخلع) أو لما نكسر. الكسور ما كانتش تعرف تعالجها برضو. أمي دلكت ناس كتير ووقفت الوجع. كانت دايماً موجودة، مايفرقش مين محتاجها. تقولك ربنا أمرك تعطي، إياك تقول ماعنديش اللي أديه. لو الناس فكروا إنك ما عندكش حاجة، مش هاتشوف منهم حاجة. لو فكروا إن عندك، هيدوك منه أكتر.
وقتها زمان الأمهات ماكانوش يكلموا بناتهم عالخلفة أبداً. لو كانت قالتلي، ماكنتش خلفتهم. ما كناش نعرف أي حاجة عن إزاي بييجوا دول. أمي كانت تروح للدكتور وترجع بعيل. كنت أعيط وأصلي طول اليوم. كنا فاكرين إن الدكتور إداهولها.

[1] جنوب الولايات المتحدة الأمريكية.

في يوم كنت باجهز أروح المدرسة وأمي منعتني. سألتها ماروحش ليه، قالت "مانتيش عايزة تروحي"، فضلت أسألها ماروحش ليه، قالتلي "كبرتي". كانت تقصد إني حبلى. عيطت وصليت طول اليوم لربنا ياخده مني، بس ماخدوش. كل اللي عمله إنه خلاني كبيرة وسمينة. أول مرة نمت مع حد جاتلي الدورة بعدها. تاني مرة حبلت. اتعلمتها بالصعب كده.
وصلت لسنة ساتة لما حبلت كان لازم أسيب المدرسة. أمي كانت عارفة إن المدرسة مش بتاخدك لو حبلتي. بيخلوكي تسيبيها. وبعد الخلفة ما يخلوكيش ترجعي. أول ما المدرسة تشوفك حبلى، ترجعي على بيتك وتقعدي فيه. كانوا بيقولوا إنه ضد القانون إن ست تحبل وتروح المدرسة. أول ما تخلفي، ماينفعش تروحي المدرسة تاني أبداً.
لما بنتي الوحيدة "إسي" تمت أربعتاشر سنة، قعدت اتكلمت معاها هي والصبيان، التلاتة اللي أكبر من "إسي"، و"بيفر"، اللي بعدها على طول. وقلتلهم إني صليت لربنا يخليني أعرف حاجات عشان أقول لكم عليها، عشان مايكبروش بغبائي زي ما كبرت. فيه ستات ما بيخلفوش كتير، لكن أنا كنت ولادة، من بدري. كنت عيلة لكن كبرت بدري بدري. خلفت عيل وأنا مش عايزاه. سبت المدرسة. أربعتاشر سنة. ما خلصتش الإعدادية حتى. كنت باجري في الدنيا جري. حتى دلوقتي اللي ممكن أقعد وآخد راحتي، بس لسه برضو باجري في العيشة.
صليت كتير وقتها لربنا عشان يرشدني. في ليلة وأنا راقدة، جالي منام طويل، كانت الطيارة والهيليكوبتر طايرين فوق دماغنا –وناس كتير عالأرض- ولما الطيارات جت تنزل، الناس بدأت تجري- بس أنا ماجرتش. ناس بيض وسود كلهم مع بعض نزلوا من الطيارة وزي ما يكون كانوا عندهم زي إجتماع كده. صحيت من النوم والمنام مش بيسيب راسي. قلت لأمي "فيه حاجة جاية تحصل هنا في المكان ده."
فضل يجيلي المنام بتاع الهليكوبتر ده كتير- كنت دايماً أحكي لأمي عشان كانت بتعرف تفسرلي الأحلام، وكانت تقوللي أفضل أصلي، وربنا هيقوللي حاجات. والمنام اتحقق: "مارتن لوثر كينج" جه الكنيسة القديمة الكبيرة اللي عندنا هنا في "جيز بند"، فوق عالتلة، كنيسة "بليزانت جروف" المعمودية. وقف هناك واتكلم. مافوتش كلمة.
ولما راح كامدن، بوست إيد جوزي عشان يوافق أروح، بس رحت برضو. ركبنا الربع نقل بتاعة مونرو بتواي جوز بوتني. كنت في المجموعة اللي مع مارتن لوثر كينج لما طلع يشرب مية "الناس البيض". كان عايزنا نعرف إن المية هي هي، ويعرف الناس البيض إن كل الخلق ممكن يشربوا نفس المية. فطلعت أشرب منها، قامت أختي الكبيرة ليلي ماي مسكتني من البالطو. فردت دراعاتي لورا وخليت البالطو يتسلت من عليا. كنت حالفة لأشرب من نافورة الناس البيض. وصلتلها، لكن أختي برضو شدتني بعيد. نهايته، ماعرفتش أشرب منها يوميها. كانت فاكرة إنهم هيعملوا فيا حاجة وحشة. كانت حنينة وسكرة. وكنت أنا الواد الطالح اللي في العيلة. كنت دايماً تلاقيني مدب وغشيمة. ما أمسكش نفسي عن حاجة. لما في الآخر رحت شربت من مية الناس البيض، لقيتها مافيهاش حاجة مختلفة، ماعرفتش إيه يعني الزيطة اللي عليها دي. ماكنتش فاهمة ليه يحوشونا عنها، إلا لو كانوا شايفيننا وسخين وهنعكرها.
ناسنا هنا كويسين. باشكر ربنا عليهم. تقريباً كده ما تسمعش عن حد قتل حد. وماتشيلش هم لا ضبة ولا مفتاح. لما جيت اتجوزت ورحت مسكرة البيبان، جوزي قاللي "عندنا هنا ما بنسكرش

عالحاجات." كنا نسيب المفاتيح في العربية طول الوقت، وما حدش هوب نحيتها، سنة بعد سنة. أنا راضية هنا في مكاني. آه أروح أزور نواحي تانية، لكن أعيش هناك؟ لأ.
مش عارفة كفاية يعيشني في المدينة. ما باسمعش كويس أصلاً عشان أعيش في المدينة. العربيات سريعة أوي هناك. لما رحت كونيكتكت، الناس في الحتة اللي كنت فيها كانوا كويسين، بس ما بيشيلوش بعضيهم. مرة قعدت أتفرج أنا وابني على راجل أبيض بيحاول يحرك طوبة كبيرة، قعد يحفر حواليها طول النهار. قلت لابني "روح ساعد الراجل الأبيض ده،" قاللي، "مش هاروح في حتة، ما بنساعدش حد هنا يامّا، إنتي مش في الأرياف." رحت أنا للراجل وسألته "عايزني أحركلك الطوبة دي؟" قام قاللي "لأ، ما ينفعش أخليكي تعملي كده،" فقلتله "تحب أوريك إزاي؟" قاللي "وإنتي تعرفي منين؟" قلتله، "أمي علمتني."

عن الكاتبة:
"ماري لي بيندولف"

فنانة ولدت عام 1935، قصة ماري مع الانجاب هي لمحة على نظرية <<العدالة الانجابية>> وتقاطعها مع تجارب الواقع المعاش. هذه قصتها كما حكتها في مقابلة مع مؤسسة Souls Grown Deep.

التنويه:
تحتوي هذه الترجمة على اعادة كتابة هدفها تقريب النص الأصلي جماليًا للغتنا بلهجة مصرية مع الحفاظ على روح النص الأصلي.

تَحويل الصَمت

منظور شخصي، وسياسي وتربوي، لسرديات الإجهاض

باميلا بريدج واتر تور

ترجمة: نُهير عماد

«من المهم أن نتسق مع تجاربنا الحياتية، وأن نجهر بالحقائق التي نصدقها، ونعرفها».
أودري لورد

أنا ناشطة ومحامية وأستاذة في القانون، بجانب ممارستي لنشاطات أخرى. أدير حلقات دراسية عن الإنجاب والقانون، أساعد فيها الطالبات على إدراك أن الحقوق الإنجابية هي جزء مهم من عمليةٍ أكبر وأشمل؛ السعي وراء تحقيق العدالة والحرية. لذا، أحاول إيجاد حلقات الوصل بين الإنجاب من ناحية، وبين العبودية والحرب واليوجينيا (فلسفة تحسين النسل) والحقوق المدنية وحركات تحرير الجنس من ناحية أخرى. أعرِّف طالباتي أيضًا على الاستغلال الإنجابي في صوره المختلفة، مثل إجراء عمليات قيصرية قسرية، وسياسات التعقيم ومنع الحمل بالإكراه، والمشاكل دائمة الحدوث الناتجة من التكنولوجيا الإنجابية المتقدمة.

أحاول أن تدرك طالباتي أن الخطاب السياسي والقانوني المحيط بمسألة الإجهاض لا يشكل سوى جزء صغير نسبيًا من رحلة السعي نحو الحرية الإنجابية. رغم ذلك، تنخرط الطالبات أكثر في الجزء المتعلق بالإجهاض - على عكس الاستنساخ. وربما يرجع السبب في ذلك إلى أن معظمهن نساء في سن الإنجاب، غالبًا ما يُعرّفن أنفسهن بكونهن نسويات، ويصنفن أنفسهن كمؤيداتٍ للإجهاض، مع أنه ليس شرطًا مسبقًا للالتحاق بالحلقة. ولم تعق هذه الملامح المختلفة للهوية قدرتنا على تناول القضايا من وجهة نظر جانبي النقاش قط، لكنها تشكل نقطة الربط بين الإجهاض، والقضايا الأخرى التي تشملها الحلقة. وتستكشف طالباتي الإنجاب باستمرار عبر عدسة الجدل الحالي حول الإجهاض.

على مر السنين، دمجت طالباتي خبراتهن الشخصية، ومواقفهن السياسية، ومبادئهن حول الإجهاض، في تحليلاتهن لهذه القضية. كانت المناقشات ثرية وغنية بالمعلومات. تحترم الطالبات قصص بعضهن البعض، وتبدو كل منهن متحمسة لمشاركة تجربتها، وكيف تعكس هذه التجارب مدى فهمهن لمثل هذه القضايا بالغة الصعوبة والتعقيد. كان هذا بخلافي أنا، إذ اخترت ألا أشارك قصتي داخل قاعة الدرس، بل شعرت بعدم الارتياح عندما سُئلت عن رؤيتي الشخصية أو السياسية بشأن الإجهاض. تجنبت عن عمد إعلان موقفٍ ما، أو الكشف عن معلومات تخصني، لاعتقادي أن ذلك سيعرقل بيئة التعلم للطالبات. ومع أنني ظللت أشكك لفترة طويلة في - بل أتحدى - أسطورة الموضوعية التي يُزعم تبنيها داخل كليات القانون وجدواها، رأيت أنه من الأفضل أن أنأى بتجاربي أثناء تدريسي للقضية التي شكّلت - أكثر من غيرها - هويتي كمحامية وناشطة وأستاذة في القانون.

غالبا ما لاحظت طالباتي الجهد الذي أبذله لتجنب إضفاء طابع شخصي على محاضراتي أو تسييسها، لأنهن طورن بمرور السنين طرقًا متمرسة لحثي على الجهر بموقفي من تلك المسائل، وشرح كيف أصبحت مهتمة بممارسة هذا المجال القانوني دونًا عن غيره. لم أرَ ذلك إلا مجرد فرصة أخرى للتحدث إلى الطالبات عن مسار عملي وخبرتي التطبيقية. عندما بدأت في الحديث عن العملاء والحالات واستراتيجيات التقاضي، أوضحن أنهن يُردن معرفة المزيد من المعلومات الشخصية. قالت لي إحدى الطالبات: «أخبرينا لماذا اخترت التخصص في هذا المجال، ليس كيف». هنا، عرَّفت

نفسي بأنني نسوية مؤيدة للإجهاض، وشرحت طبيعة عملي كمدافعة قانونية عن عيادات الإجهاض. وأخيرًا، أخبرتهن كيف أدى عملي على قضايا أخرى خاصة بصحة المرأة، والحركات المناهضة للعنف، إلى التخصص في العدالة الإنجابية.

لكنني توقفت عند هذه النقطة. لم أخبرهن عن عملي كمرافقة للنساء اللواتي يحاولن اجتياز متاهات المتظاهرين المناهضين للإجهاض في أيام السبت، أمام عيادات الخدمات الإنجابية. ومع أنني أجهر بكوني مثلية، لم أحكِ عن التناقض الذي أشعر به أحيانًا عند التعامل مع القضايا القانونية المتعلقة بالجنس الإنجابي، وأنا أعلم أن أنشطتي الجنسية غير الإنجابية مهمشة داخل حركة العدالة الإنجابية. والأهم من ذلك، لم أفسر كيف أصبحت على علم - بصفة شخصية - بأهمية الحق في اختيار إنهاء الحمل.

لم يكن امتناعي عن كشف نفسي بالكامل يرجع لرفضٍ أيديولوجي بداخلي تجاه اعتبار السرد الذاتي ضمن محصلتي العلمية، أو رحلتي المهنية كمحامية. فأنا في الواقع أستخدم المنهجيات السردية في تدريس القانون، وفي عملي كناشطة أيضًا. أُسلِّم بأهمية السرد الذاتي وأحترمه، خصوصًا في النظريات النقدية القانونية التي تتعلق بقضايا العرق والنسوية والكويرية. ومع ذلك، كانت قاعة الدرس في كلية الحقوق مختلفة. أميل، مثل العديد من أساتذة القانون، إلى كشف معلومات شخصية أقل لا أكثر. وبغض النظر عن محصلاتنا العلمية، أو مناهجنا السياسية، نميل إلى توضيح التزامنا بأسطورة الموضوعية داخل قاعات الدرس. قلما نطلب من طلابنا أن يشاركوا ما يعرفونه عن العالم أثناء الحلقات الدراسية. يطالبهم النظام القانوني باستيعاب وقبول ما يراه القضاة منطقيًا، وهذا هو التدريب الذي نقدمه.

لكن نادرًا ما ندمج نحن - الأساتذة - تجاربنا الشخصية في الموضوعات التي ندرِّسها. ربما يجعلنا هذا أقل ضعفًا وهشاشة، وربما يمنحنا المسافة الكافية التي تفصلنا عن الموضوع وطلابنا، أو ربما نمتنع عن مشاركة آرائنا حتى يشعر الطلاب الذين يتبنون آراءً مخالفة بأمانٍ أكبر. ربما يسمح لنا ذلك بالاستمرار في تدريس القانون، دون أن تعرقلنا وقائع الحياة، أو ربما نحذو حذو أساتذتنا الذين اتخذوا قرارات تربوية مماثلة. وسواء كان هذا النهج سلبيا أو إيجابيا، إلا أننا في نهاية الأمر نهجر أجزاءً مهمة من أنفسنا خارج الفصل الدراسي.

بالنسبة لي، تغير هذا الوضع كثيرًا أثناء مؤتمر حول الحقوق الإنجابية عُقد عام 2001 في كلية هامبشاير بمدينة أمهرست، في ولاية ماساتشوستس الأمريكية. كانت الجلسة الأولى التي شاركت فيها مخصصة لتتبادل النساء تجاربهن الشخصية مع الإجهاض. تعلمت الكثير عن الطريقة التي تنظر بها النساء إلى الإجهاض، وكيف يأخذن قرارتهن الإنجابية. أولاً، سمعنا تجارب النساء اللواتي أجرين عمليات إجهاض غير شرعية قبل إصدار قرار «رو ضد ويد».[1] حكت النساء في هذه المجموعة عما كان يحدث من استجوابات واجتماعات سرية. تكلمن عن شعورهن باليأس، والرحلات الطويلة التي قطعنها إلى أماكن يجهلنها. شاركن قصصهن عن الغرف المظلمة، والأطباء المقنعين، والألم الذي شعرن به.

[1] قرار صادر من المحكمة العليا سنة 1973، بعدم إطلاق الحق في الإجهاض، و السماح للدولة بمنع الإجهاض و تجريمة في المرحلة الثانية و الثالثة من الحمل. قبل هذا القرار كان الإجهاض قانونياً في الكثير من الولايات، و يسري هذا القرار على المستوى الوطني.

تألفت المجموعة التالية بشكل أساسي من شابات خضعن لعمليات الإجهاض في السنوات العشرة الأخيرة. عرفت منهن أن الإجهاض أصبح يقترن بالوصم. بأصوات منخفضة ورؤوس محنية، تحدثت هؤلاء النساء عن وصمهن لكونهن ناشطات جنسيًا، ولاتخاذهن القرار بإنهاء الحمل. عبرت بعضهن، على اختلاف جوانب أخرى من حياتهن وهوياتهن، عما يشعرن به من عار بعد الخضوع لعمليات الإجهاض، وكيف ينشأ هذا الشعور داخلهن بسبب هوياتهن العرقية والدينية والطبقية. وتحدثت أخريات عن العار الذي شعرن به عندما وقفن يطلبن من القاضي السماح لهن بإنهاء الحمل الذي تسبب فيه الأب أو العم أو الأخ. عار بسبب افتقارهن إلى ما يكفي من المال، أو عار بسبب اضطرارهن إلى الذهاب إلى عيادةٍ عامة، أو عار لأنهن استغرقن وقت طويل قبل اتخاذ القرار، أو عار لقولهن كلمة «لا»، أو حتى قول كلمة «نعم». عار لأنهن لم يصممن على استخدام موانع الحمل، وغيرها الكثير.

عندما أنهت آخر المتحدثات حديثها، دعت المنسقةُ الحضور إلى القيام ومشاركة قصصهن مع الإجهاض. دون نية مسبقة، اقتربتُ من الميكروفون ورويت قصتي. ونظرًا لتمتعي بقدر لا بأس به من الامتيازات، كانت قصتي تمكينية، تحكي عن اكتشاف الذات، والشجاعة. لم أجد صعوبة في جمع المال لدفع تكاليف العملية، ولم أضطر إلى مواجهة حاجزٍ لغوي ما في سبيل الحصول على الخدمة. أثناء مشاركتي لتجربة الإجهاض مع جمهور من الطالبات/الطلاب، والمحاميات/ين، والناشطات/ين، المؤيدين/ات للحرية الإنجابية، شعرت بقيمة السرد الذاتي، وخلوه من العار أو الذنب، في السعي وراء الحرية الإنجابية. بعد انتهاء الجلسة، طلب كثير من الأشخاص نشر قصتي، وسألوا إذا ما كنت أستخدمها في محاضراتي. قلت: «بالطبع لا». لم أستطع فهم كيف يمكن لقصتي أن تتناسب مع رؤيتي للتربية القانونية.

أثارت إجابتي نقاشًا حول فائدة السرد الذاتي في الحركة وداخل قاعة الدرس. سألت إحدى الناشطات النسويات المناصرات للإجهاض: «إذا أبقينا جميع قصص الإجهاض سرًا، فكيف سنعرف ما إن كان ما نحميه موجودًا بالفعل أم لا؟» هذا ما جعلني أقتنع بأن تجارب الإجهاض يجب أن تكون جزءًا من المنهج الدراسي. ولا أقصد بهذا القصص النظرية المبتورة، بل القصص الغنية بالتفاصيل، والمكتملة، التي تخص النساء وتجاربهن. لكن هذا لم يبدد شكي في أن استخدام قصتي لائقًا. لم أستطع تصور كيف يمكنني الوقوف أمام الصف وحكي هذه القصة، حتى أنني فكرت أن أضيفها دون الكشف عن هويتي. لم أجد فائدة من حكي قصتي حتى تطوعت شابة بحكي قصتها، وقالت إنه لو أسهمت مشاركة قصتها الشخصية في مساعدة أحد المحامين على إدراك أهمية إبقاء الإجهاض قانونيًا، فسيكون من دواعي سرورها أن تأتي وتحكيها. لكنني أجبت: «لا، سأحكي قصتي أنا». يمكن للشجاعة أن تكون معدية أحيانًا.

وبسبب هذه الشابة الشجاعة، وزميلاتي، والناشطات، وغيرهن من النساء اللواتي نحلل تجاربهن داخل قاعات الدرس، صرت الآن أستعين بتجربتي الشخصية مع الإجهاض كإطارٍ لتدريس تطور

مبادئ قرار "رو ضد ويد" بمنح الحقوق الإنجابية. أضاف ذلك عمقًا مذهلاً إلى فهمي للقضايا التي تواجه المدافعين/ات والمناصرين/ات للإجهاض، وساعدني أيضًا - مثلما ساعد طلابي - على فهم ارتباط المشهد القانوني المتعلق بالإجهاض بحياة النساء فهمًا أفضل، بما في ذلك حاجتهن إلى الاستقلال الإنجابي، وغيرها الكثير. ما يلي هو الفصل المحذوف من القصة التي تحكي ما مررت به لأكون مدافعة عن العدالة الإنجابية، وناشطة، ومسؤولة عن حلقة دراسية حول الإنجاب والقانون.

كنت في السادسة عشرة من عمري، في المرحلة الثانوية، وكنت حاملاً. كنت أعرف أنني لا أريد أن أحمل، وأن الشخص الذي ارتبطت به حينئذ لا يريدني أن أحمل، وأن والديّ لا يريدان لي أن أحمل. ما زلت أذكر حديثهما عن الجنس: «لن تكوني واحدة من الفتيات اللاتي اضطررن إلى ترك المدرسة حتى يلدن طفلاً. لن يستحسن الدكتور الموقر مارتن لوثر كينغ ذلك، ولن نستحسنه أيضًا». بعبارة أخرى، كانت اختياراتي الإنجابية هي الوسيلة لتحقيق حلم د. كينغ. كانت ممارساتي الإنجابية مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالارتقاء العرقي.[2]

ومن المثير للاهتمام أنهما لم يفرضا عليّ عدم ممارسة الجنس، ولم يخبراني كيف أحمي نفسي من الحمل غير المرغوب فيه. بالنسبة لفتاةٍ سوداء في المرحلة الثانوية، تنتمي للطبقة المتوسطة، وتأتي من أسرة متعلمة ليبرالية سياسيًا، كان الحمل هو المشكلة، لذلك شرعت في حلها. أحضرت دليل الهاتف، واخترت القسم الخاص بعيادات الإجهاض، وأغلقت عيني، وحركت إصبعي فوق الصفحة، واخترت ثلاثة أطباء، ثم اخترت واحد يحمل أكثر الأسماء لطفًا: الدكتور «ر». اتصلت بمكتبه وسألت عن تكاليف العملية، التي كانت تتراوح بين 150 إلى 210 دولار، بناءً على المبلغ الذي يمكنني تدبره، ومدة الحمل. حجزت موعدًا في الأسبوع التالي، وعندما حان الموعد، ذهبت مع حبيبي. وفي غرفة الانتظار، كانت هناك نساء حوامل، بدا أن فترات حملهن متباينة. بدت جميعهن ودودات للغاية. كن يتحدثن عن وظائفهن، والكنائس، والأطفال، وخطط السفر. ابتسمت لي امرأة كانت في شهرها الثامن أكثر ابتسامة مطمئنة تلقيتها على الإطلاق. كنت مقتنعة بأنها تعرف أنني هناك لأسباب مختلفة تمامًا عن أسبابها، ومع ذلك ابتسمت لتطمئنني، فابتسمتُ لها في المقابل.

عندما استُدعي اسمي، ذهبت إلى غرفةٍ صغيرة مع الممرضة الممارسة، التي شرحت لي العملية بالتفصيل. أخبرتني عن مخاطرها، وأجابت عن أسئلتي، وقالت لي إنها بحاجة إلى أخذ عينة دم للتأكد من أنني حامل. بعد التأكيد، سألتني عن عائلتي وتاريخي الطبي. وفي النهاية، سألتني عما إن كنت متيقنة من أنني لا أريد هذا الحمل. قلت: «نعم، تمام اليقين». بعد التوقيع على استمارات الموافقة ودفع التكاليف، أخذتني لمقابلة الطبيب. عرفني باسمه، وسألني عن المدرسة وما أمارسه من رياضات. وبعد محادثة قصيرة حول العملية، قال إنه سيغادر الغرفة وستساعدني الممرضة على تجهيز نفسي للعملية. في وقتٍ لاحق، أعطاني حقنة في ذراعي، واستغرقت في النوم. بعد العملية، قادتني ممرضة إلى غرفة أخرى بها كرسي مريح كبير، تمددت فيه وعدت إلى النوم مغطاةً بدثار.

[2]سياسة ثقافية قادها أفراد سود من أصول أفريقية فيأمريكا في منتصف الخمسينات. ينتمون للطبقة الوسطى و حاصلين على الشهادات العلمية، عملوا على تغيير الأفكار النمطية السائدة وقتها عن مجتمعات السود من أجل تحسين أوضاعهم الاقتصادية و المعيشية و واقع تفوق العرق الابيض في الولايات المتحدة الأمريكية.

عندما استيقظت مرة أخرى، أخبرتني الممرضة أن كل شيء سار جيدًا، وأنني سأكون بخير، وقالت إن التخدير قد يجعلني أشعر بالغثيان وبرغبة في البكاء، وإنني ربما أعاني تشنجات ونزيف. أعطتني بعض عصير البرتقال، وقطعة كعك، ومسكن للآلام لا يتطلب شراؤه وصفة طبية، وورقة بعنوان «ما الذي يجب توقعه» مع رقم للاتصال به إذا عانيت أي مشكلة، وفوطة صحية طويلة جدًا. ارتديت ملابسي وذهبت إلى البيت.

صرت أستعين بهذه القصة لتقديم مبادئ حقوق الإجهاض، وشرح كيفية دمج القوانين الحالية لخلق تجربة مختلفة تمامًا للشابات اليوم. وبينما نتجول عبر هذه المبادئ، ونحلل الخطاب السياسي المحيط بالإجهاض، نلاحظ كيف أن متطلبات الموافقة الأبوية أو القضائية، وفترات الانتظار، والتمويل المحدود للكيانات التي تقدم معلومات عن الإجهاض، كلها تعوق إتاحة الفرصة لأغلب النساء في الولايات المتحدة للخضوع لعمليات الإجهاض. نناقش أيضًا كيف أن العنف الذي تتعرض له العيادات التي تقدم خدمات الإجهاض، والوصم العام، والتوترات داخل الحركة، هي عوامل تعوق مشاركة الأطباء والمحامين والمناصرين.

عند مقارنة قصتي بالمشهد العقائدي للإجهاض اليوم، تسارع الطالبات إلى الإشارة إلى حقيقة أنه كان بإمكاني العثور على طبيب لإجراء العملية بمجرد النظر إلى دليل الهاتف. اليوم، تضطر المرأة إلى التفريق بين المنظمات المناهضة للإجهاض، والمنظمات التي تؤيده. انخفض أيضًا عدد الأطباء الذين لديهم استعداد للإعلان عن أنفسهم في دليل الهاتف كثيرًا بسبب العنف والمضايقات. وبالمثل، لم تعد الكثير من كليات الطب تضمّن هذا النوع من العمليات في المناهج الدراسية الأساسية، إضافةً إلى أن بعض الكليات وبرامج التخصص لا تقدم تدريبًا على إجراء عمليات الإجهاض من الأساس.

هناك اختلاف آخر فاجأهن، وهو حقيقة أنني تمكنت، في السادسة عشرة، من اتخاذ القرار والتجهيز والخضوع للعملية بعد استشارة أشخاص من اختياري، وليس والديّ هما من نفذا هذه الخطوات. وعلى عكس العديد من النساء الشابات اليوم، اللاتي لا يحق لهن الخضوع لعملية إجهاض دون إذن من الوالدين، أو موافقة المحكمة، كانت لدي فرصة النظر إلى حياتي، وإلى جسمي، وإلى أحلامي وأهدافي، واتخاذ قرارٍ واعٍ في مصلحتي الخاصة. سألني طلابي عما إن كنت سألجأ إلى الاختيارات ذاتها إذا كان إجراء العمليةَ يقتضي إذن الأبوين، أو كانت قوانين الموافقة القضائية سارية عندما كان عمري 16 عامًا. ليست لدي إجابات قاطعة على هذه الأسئلة، لكنني أستطيع أن أقول بيقين أنني لم أكن لأتمكن من الترتيب للعملية، والخضوع لها بعد أسبوع واحد من اكتشاف كوني حاملًا، لو مررت بكل هذا. كان الوقت جوهريًا. ولو كنت مطالبة وقتها بمناقشة والديّ في المسألة، أو اللجوء إلى المحكمة، كنت سأضطر للخضوع إلى عملية أعقد وأكثر تكلفة.

كانت تجربتي داخل مكتب الطبيب أيضًا مختلفة عما تواجهه المرأة اليوم، لأن المعلومات المتعلقة باختياراتي أتيحت لي بسهولة. أخبرتني المرأة التي أجابت على مكالمتي بمعلومات عن الإجهاض، إضافة إلى خياراتٍ أخرى. وعندما أخبرتها أنني متيقنة من خيار الإجهاض، شرحت لي إجراءات

العملية وتكلفتها عبر الهاتف. لا تمنح العيادات بسهولة تلك المعلومات عبر الهاتف اليوم. وسواء كان ذلك بسبب قواعد وقوانين تكميم الأفواه (Gag rule[3])، أو ما تتعرض له العيادات من تهديدات، يضطر الأطباء الذين يجرون عمليات الإجهاض وموظفوهم إلى تقديم أقل قدر ممكن من المعلومات حول خدماتهم هاتفيًا. لدى معظم العيادات ذات الموارد الكافية خطان هاتفيان: واحد للاستفسارات العامة، وآخر خاص بعميلاتهن بعد الزيارة الأولية للعيادة.

تفيد الكثير من الشابات اليوم بأنهن تأخرن في إجراء عملية الإجهاض بسبب خضوعهن لفترة انتظار. في العديد من الولايات الأمريكية، يجب على المرأة أخذ موعدين؛ الأول للاستشارة، والثاني لإجراء العملية. وكما هو الحال مع قوانين إخطار الأبوين، فإن فترات الانتظار قد تجعل الإجراء أكثر تكلفة وتعقيدًا، فيما تضطر كثير من النساء إلى السفر إلى ولاية أخرى لأنه لا توجد عيادات تقدم خدمات الإجهاض في محيطهن. وترتفع التكاليف لأن على كل واحدة منهن أن تضع في اعتبارها التزاماتها، سواء كانت وظيفة أو دراسة، أو نفقات الفندق والسفر، إلى جانب تكاليف العملية ذاتها. في كثيرٍ من الأحيان، ولأسباب مختلفة، تضطر النساء إلى الكذب عندما يتغيبن عن العمل، أو المدرسة، أو عند مغادرة الولاية، من أجل حماية خصوصيتهن. بالنسبة لهؤلاء النساء، تزيد فترات الانتظار من تعقيد حياتهن لأن ظهور الحمل قد يعني تعرضهن للعنف، أو التشرد، أو الإذلال العلني.

تتحد كل العوامل السابقة، بداية من فترات الانتظار، ومحدودية الوصول إلى الأطباء، إلى التكاليف المتزايدة، لجعل النساء أكثر عرضة للعنف الذي تلاقيه خدمة الإجهاض وما يخصها. تتعرض النساء اللاتي يخترن الذهاب للعيادات بدلاً من الأطباء الخاصين أن يخضن طريقهن وسط المتظاهرين المناهضين للإجهاض، أحيانًا مرتين. وعندها تُتاح للمتظاهرين فرصتين؛ إدانة المرأة، ومحاولة تقويم «سوء سلوكها». وبينما لا يتعرض المرضى لهذا النوع من المعاملة في أي سياق طبي آخر، غالبًا ما تتذكر النساء اللواتي يخترن الإجهاض كيف تسبب العنف أو المضايقة التي تعرضن لها في إصابتهن بقلق متزايد، قبل وأثناء وبعد العملية. عندما تسمع الطالبات قصتي، تسأل إحداهن دائمًا عن تلك التظاهرات، ويُصدمن لسماع أنه لم يكن هناك أي متظاهرين أو مرافقين وقتها. كان هناك حارس أمن واحد فقط للتأكد من ألا يصفّ أحد سيارته في المساحات المخصصة للأطباء. في إحدى المرات، أضافت طالبة تعمل مرافقة في إحدى عيادات للإجهاض: «كانت تلك الأيام الخوالي الطيبة».

وكما قد يتوقع المرء، هناك أوقات تذهب فيها الطالبات إلى أبعد من ذلك لاستكشاف جوانب قصتي الشخصية، مثل سؤال إحدى الطالبات عما إذا كانت تجربة الإجهاض قد حلت أي توتر أشعر به لكوني مثلية أشارك في الدفاع عن الإجهاض، «لأن الإجهاض في الحقيقة ليس قضية تخص المثليات» على حد قولها. غالبًا ما تأتي الأسئلة المتعلقة بهويتي بصفتي امرأة سوداء مثلية من الناس الذين أعمل معهم في الحركة. ورغم أني لم أكن مستعدة لمناقشة هذا الأمر في محاضرتي، إلا أنني لاحظت أن السؤال خلق «اللحظة التعليمية» المرجوة، فتقبلتها وتصالحت معها. شرحت للطالبة أن هناك الكثير من المثليات اللاتي يقفن في الخطوط الأمامية للدفاع عن عيادات الإجهاض في صباحات السبت، لدرجة أنه يمكن للمرء أن يظنها مسيرة فخر صغيرة خاصة بالمثليات. وفي حين تميل النساء

3سياسة اعتمدها رونالد ريغان عام 1984 تلزم المنظمات غير الحكومية التي تتلقى تمويلا فيدرالياً من قبل حكومة الولايات المتحدة، بأن تتعهد بأنها لن «تروج أو تقدم خدمات الإجهاض». بعد ثلاثة أيام من توليه الرئاسة عام 2017، فعل دونالد ترامب سياسة كم الأفواه العالمية.

المغايرات أيضًا إلى استنكار وجود المثليات في حركة العدالة الإنجابية، إلا أنني لم أسمع قط أن إحدى النساء اللواتي ترافقهن إحدانا إلى العيادة منزعجة من هوية مرافقتها. وفي النهاية، أشرح أن المثليات اللواتي يدعمن الحرية الإنجابية ويدافعن عنها يدركن أن النساء المغايرات لا يخضعن وحدهن لعمليات الإجهاض، إذ تتعرض المثليات اللواتي لا يمارسن سوى الجنس غير الإنجابي، مثل جميع النساء والفتيات، للاغتصاب، والإساءات الجنسية، والاعتداء الجنسي العائلي، وغير ذلك من أشكال العنف الجنسي التي قد تؤدي إلى الحمل. الإجهاض قضية تخص المثليات، لأن الإجهاض مسألة تخص المرأة.

كذلك أتاح سؤال الطالبة عن تجربتي مع الإجهاض وتوجهي الجنسي فرصة ممتازة لإجراء مناقشة حول العنف الذي تتعرض له عيادات الإجهاض، وكيف تتعرض له المثليات أكثر من غيرهن. فأغلب المرافقات إلى العيادات مثليات، ويبدو أن الناشطين المناهضين للإجهاض على دراية كاملة بذلك. لا يواجه الإرهابيون المناهضون للإجهاض أي صعوبة في اعتبار أن الاختيار الإنجابي شأن متعلق بالمثليات أيضًا. فعلى مدار عقود، وجهت العناصر الأكثر تعصبًا في الحركة المناهضة للإجهاض عنفهم ومضايقتهم تجاه المثليات. وقعت أحد أكثر الحوادث العامة عنفًا في عام 1996 بولاية أتلانتا، عندما فُجّرت قنبلتان؛ واحدة خارج عيادة للإجهاض، وأخرى داخل حانة للمثليات. اكتشف محققو الشرطة أن التفجيران نفذهما الشخص ذاته، ويُدعى إيريك رودولف.

أصطحب طلابي في رحلةٍ إلى فترة ما بعد قرار «رو ضد ويد» بمشاركة تجربتي الشخصية. أثق تمامًا في القيمة التربوية لهذه الرحلة، فهي لا تتيح للطلاب تلقي المادة التعليمية بصورة أفضل فحسب، بل تساعدهم على معرفة كيف يمكن للتجارب الشخصية أن تصقل حياتهم المهنية - كمحامين ومحاميات - وتثريها. مع ذلك، كان هذا التطور التربوي أكثر إفادةً لي بصفةٍ شخصية. لم أعد أشعر بحاجةٍ إلى أن أنأى بتجربتي عن قاعة الدرس، وهذا ساعدني - بلا شك - على أن أكون معلمة أفضل. كان طلابي محرومين من استكشاف تصورات أعمق لعالم المحاماة عمومًا، واستكشاف هذا النوع من القضايا تحديدًا. كما أن شعوري بأنني أكثر اندماجًا في الفصل، وبأنني لست بحاجة إلى الهرب، وبأنني صرت أكثر حضورًا معهم، خلق مناخًا عامًا من الزمالة. غالبًا ما يقدّر الطلاب، الذين ينتقدون سياسة كليات الحقوق في التعامل معهم باعتبارهم أطفالًا، ثقتي بمشاركة آرائي وتجاربي الشخصية معهم أيضًا.

هناك بطبيعة الحال حدود لنوع المعلومات الشخصية التي أشاركها مع طلابي ومداها. ساعدني تبادل الخبرات الشخصية أثناء التدريس - مثلما ساعد طلابي - على فهم مدى نفوذ القانون. وبالنظر إلى كيف يشكل القانون حيواتنا، مقارنةً بالطريقة التي يمكننا من خلالها - بصفتنا محامين - أن نشكل القانون، يتعلم الطلاب أن يروا أنفسهم كمشاركين نشطين، لهم آراء ومواقف وخبرات، وليسوا مجرد متفرجين موضوعيين. نتعلم جميعًا أن الاتساق مع تجاربنا - سواء كنا محاميات أو عميلات أو طالبات أو معلمات - يخلق مساحات للتمكين والفهم.

جاين

كتبت: روث سيرجال
واتحاد تحرير المرأة في شيكاغو

ترجمة: نُهير عماد

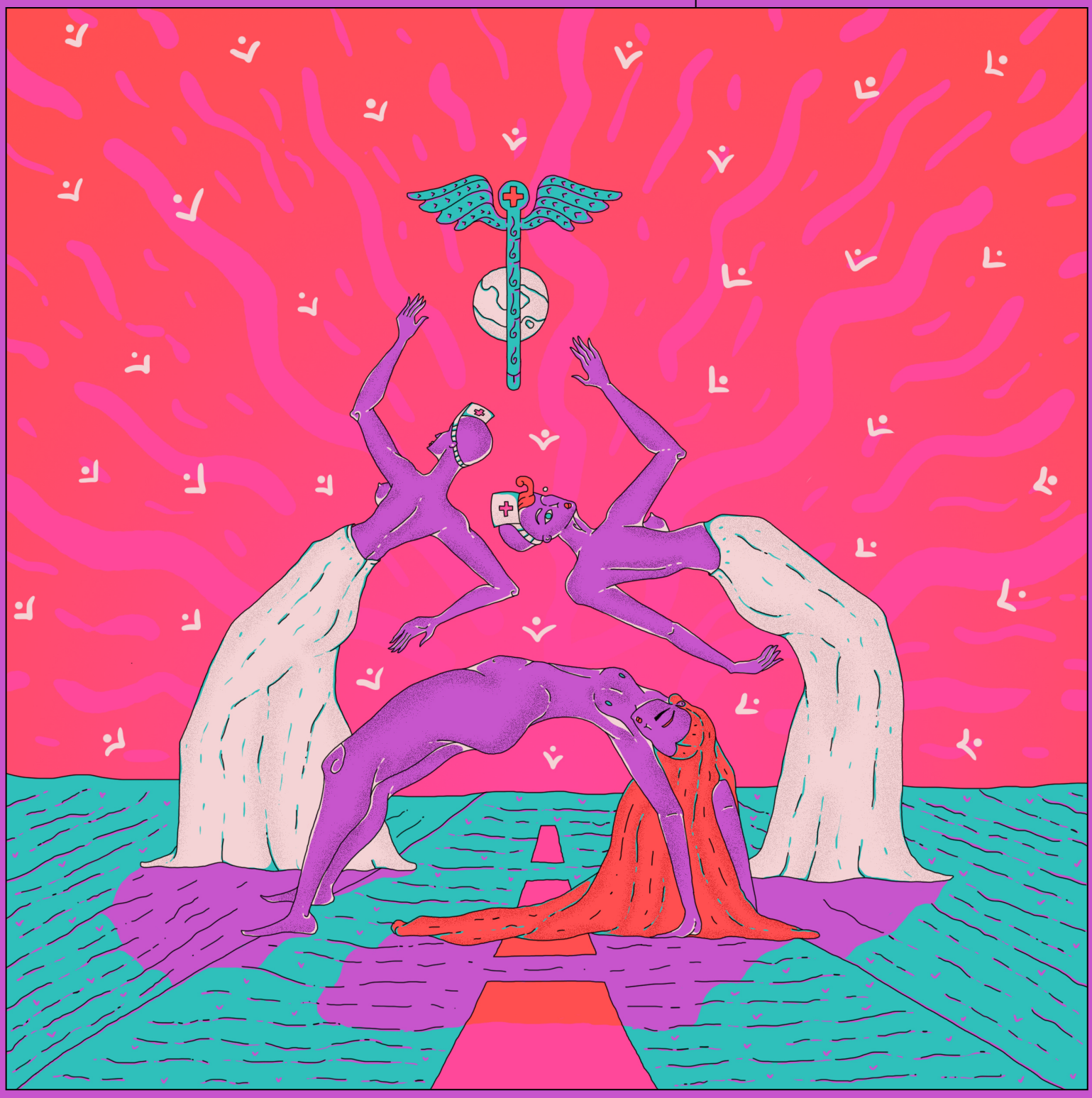

هذا المقال مقتبس من مقابلة أجرتها بيكي كلوشين في عام 1999

ترجمة: نُهير عماد

بعد مرور وقتٍ قصير على اصطدام روث سيرجال المرتبك بالأفكار النسوية، مرت بلحظة فارقة، أدركت فيها أن تحرير المرأة أمر منطقي تمامًا. خاضت سيدات كثيرات تجارب مشابهة في الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين. لكن بالنسبة لروث، كان الاستماع إلى لقاء إذاعي في عام 1969 مع مارلين ديكسون - وهي أستاذة بجامعة شيكاغو أُقيلت من عملها نتيجة لمجاهرتها بدعمها لحركة تحرير المرأة - هو ما شكل فارقًا حقيقيًا.

ورغم أن روث كانت إحدى المشاركات في الحركة المناهضة للحرب على فيتنام، إلا أنها شعرت بالحاجة إلى فعل شيء آخر. تقول: «كنت أبحث عن شيء مختلف لأنني لم أكن مستعدة لأن يُلقى القبض عليّ بسبب مشاركتي في الحركة المناهضة للحرب. ليس لأنني لم أهتم بأهدافها، لكن لأنها لم تكن معركتي الشخصية بأي حال من الأحوال. وكنت أعرف أن حركة المرأة هي معركتي الحقيقية، وأنني مستعدة للتضحية بكل شيء في سبيلها، حتى لو أُلقي القبض عليّ (وهو ما لم يحدث في نهاية المطاف). لكنني ذهبت إلى ذلك المنزل، ورأيت نشاطات مختلفة، وكيف نظمت القائمات عليه أشياء متنوعة.

وجدت هناك جمعية اتحاد المرأة، وحضانة نهارية، وبعض الرياضات، وصحيفة، وخدمة استشارية خاصة بعمليات الإجهاض. ولأنني كنت باحثة اجتماعية، وكنت أعرف عن مبدأ التدخل في الأزمات، كان هذا بالضبط ما فعلته. لم يكن اهتمامي بقضية الإجهاض هو السبب الوحيد وراء مشاركتي في الخدمة، بل لأنه كان مجال عملي بطبيعة الحال».

دشنت جاين خدمة إحالة، لكن بالنسبة لروث والأخريات كان التعامل مع منفذي عمليات الإجهاض من الذكور تجربة منهكة جدًا. كانوا يُعصبون أعين النساء، ويجرون العمليات بأسعار باهظة في غرفٍ فندقية سرية، وكان هناك شعور ملح لدى النساء بأنهن بحاجة إلى التحكم في سير العملية لا الرجال. في النهاية، استقرت الخدمة على اختيار واحد منهم، بدا أكثر مرونة عن البقية. وبعدما ادعى كونه طبيبًا، أصبح معروفًا في هذا المجال باسم «مايك». ولم يشكك أحد في خبرته المهنية بصفته منفّذا لعمليات الإجهاض، لكن تبين لاحقًا أن مايك لم يكن طبيبًا من الأساس.

وتحكي روث عن جلساتها وجودي بارسنز للتفاوض معه:

«ذهبت كل منا للتحدث معه بمفردها. رفض الحديث مع كلتينا في جلسة واحدة لأنه شعر بأننا ندبر له مؤامرة ما. لذا ذهبت أنا للتحدث معه أولًا. ولم أنجح في الوصول إلى اتفاق معه، في حين تمكنت جودي من إقناعه بخفض تكاليفه، وكانت أكثر حسمًا مني. أصبح مايك وجودي صديقين مقربين جدًا بعدها، واستمرت صداقتيهما سنوات».

وفقًا لروث، كانت شخصية مايك معقدة، تصفها قائلة:

«كان نصابًا، بالمعنى الحرفي للكلمة. أثناء الأيام التي قضيتها في الخدمة الاستشارية، كونت انطباعًا عنه أنه أكثر رجل متحيز جنسيًا قابلته في حياتي. كنت أتحمله بالكاد، وكان التعامل معه مستحيلًا. هذا ما شعرت به؛ بأنه أكثر الرجال تحيزًا، وكان لا يتردد في إظهار ذلك. كانت شخصيته مركبة للغاية، وأظن أنه لم يقابل في حياته شخصًا كجودي، لم يكن هناك شخص مثلها، أو مجموعة مثل مجموعتنا عمومًا."

نشأ مايك في بيئة عنيفة للغاية، كان معظم أصدقائه إما في السجون، أو لقوا حتفهم. وكان يعيش بمبدأ: اعتنِ بنفسك أو سيفتك أحدهم بك يومًا ما، وأن على المرء أخذ حذره طوال الوقت.

كل ما رآه مايك فيَ هو أنني خائنة و«عصفورة»، لأنني كنت الشخص الوحيد الذي أصر على أن يكشف للجميع أنه لم يكن طبيبًا حقيقيًا. غضب بشدة؛ صاح وصرخ ولم يتمالك نفسه، وشعرت أنا بالسوء. عاد مايك إلى كاليفورنيا، واتصل بي ذات مرة واعتذر. كان آسفًا بصدق. كان شخصًا معقدًا... جدًا.

وأثناء عمل مايك لدى جاين، علّم العضوات الأخريات أسلوبه في إجراء عمليات الإجهاض. وكلما ازداد عدد النساء اللواتي تعلمن طريقته، توقفت عادة عصب عينيّ العميلة، وانخفضت تكاليف العملية. دربت كل امرأة دربها مايك نساء أخريات، لذا بعد رحيله، أصبح مجمل الفريق العامل لدى جاين من النساء».

كانت الخبرات الطبية داخل جاين من الناحية التقنية جيدة جدًا، لكن العاملات بها شعرن بأن المعرفة التقنية ليست كافية. كانت السيدات اللواتي يسعين إلى الخضوع لعمليات إجهاض بحاجة إلى الشعور بأنهن جزء من العملية نفسها. ومع أن تعبير «تمكين المرأة» كان قد أصبح كليشيهًا سياسيًا مهترئًا وقديمًا حينها، أخذت جاين الفكرة بجدية. تعلمت الاستشاريات وموظفات الاستقبال الإنصات إلى العميلات بحرص، فكان ما لا يُقال مهمًا بقدر ما يُقال. تشجعت النساء على الحديث عن أنفسهن وحيواتهن، وكن يتحدثن عن تحرير المرأة، وكيف كان المجتمع ينتظر منها دائمًا أن تكون جذابة ومرغوب فيها، ثم يعاقبها إذا حدث وحملت من أحدهم. كذلك تشجعت النساء للحديث عن تجاربهن الشخصية مع الأطفال والحمل والإجهاض. أرادت جاين شرح تجربة الإجهاض من الألف إلى الياء حتى تقرر النساء ما يردنه بحكمة.

وتابعت روث: «كانت إحدى النقاط التي تحدثنا عنها بكثرة هو أننا لم نكن نفعل شيئًا بالعميلة، بل كنا نفعله معها. كانت كل منهن جزءًا من التجربة، ومن الإجراء نفسه، مثلهن مثلنا. لذا كنا نتحدث عن أننا نعتمد عليهن في ألا ينكشف أمرنا. كنا نشرح لهن أننا من يخالف القانون - لا هن - لكننا بحاجة إلى مساعدتهن. يجب ألا يتحدث أحد عن الخدمة، وأن يكون حريصًا على الكتمان. صحيح أن كل

هذه السرية أمر شديد الصعوبة، لكن هذا ما علينا فعله. وكانت السيدات متفهمات إلى حد كبير».

تكونت جاين من مجموعة متنوعة من الأشخاص، واختلف أسلوب كل واحدة منهن:

«بعضهن كن مهتمات بالسياسة أكثر من أخريات، وكن قادرات فعلًا على إدارة مناقشات سياسية محكمة. بينما كانت أخريات هادئات، قادرات على خوض مناقشات ودودة ولطيفة. اعتمد الأمر على طبيعة الشخص نفسه. كانت كل منهن تساعد الأخرى بشكل عام، دون الحاجة إلى تقديم مساعدات كبيرة بالضرورة. إذا كانت إحدى السيدات مثلًا على وشك الخضوع لعملية إجهاض، تجد أخرى تحاول تهدئتها، مثلما يحدث في أي عيادة عادية، وتخبرها بأن الأمر ليس بهذا السوء. كن طيبات تجاه بعضهن. ربما لأننا كنا ندير الأمور بهدوء وروية، وكنا نحاول طوال الوقت احترام الآخر. أظن أن هذه الطريقة في إبداء الاحترام والحفاظ على المساواة تساعد الناس على الاتحاد، وتقربهم إلى بعضهم البعض. وأعتقد أن أغلبهن شعرن بدعمٍ حقيقي، وبالدفء والقبول، أو أيًا كان ما تقدمه كل منا. أظن أن لكل واحدة منا أسلوب مختلف عن الأخرى. عن نفسي، حاولت أن أكون حاضرة قدر المستطاع، كانت تلك طريقتي. كنت أحاول أن أشعرهن بالراحة، لذا كنت حاضرة، أو هكذا أظن أنني فعلت، حاضرة بشكل قوي وهش في الوقت نفسه».

حاولت جاين توظيف المتطوعات وفقًا لمهاراتهن وقدراتهن. روث نفسها لم تشعر بأنها واثقة في نفسها بما يكفي لإجراء عملية الإجهاض بنفسها.

«أعتقد أنني شعرت في بداية الأمر برغبة في الاطلاع على ما يحدث في العملية. ولأنني كانت لدي رغبة قوية في مساعدة الناس، كنت موجودة لتقديم الدعم، والربت على يد كل من تحتاج ذلك.

أردتُ تقديم بعض المساعدة، أو حتى محاولة إجراء عمليات الإجهاض بنفسي، لكنني واجهت صعوبة كبيرة في ذلك. كنت قادرة على إجراء الجزء الأول من العملية - وهو توسيع عنق الرحم، وإعطاء الحقنة - لكنني لم أستطع إجراء الإجهاض نفسه. بإمكاني فعل ذلك الآن، لكنني لم أقدر وقتها. صرت أثق في يديَّ لأنني أصبحت ماهرة في عمل الفخار. يشبه الأمر الفترة التي كنت أواجه أثناءها صعوبةً في تشكيل صينية الفطائر، لكنني لم أعد أواجه الصعوبة ذاتها الآن.

كنت خائفة من أن أوذي إحداهن. لو لم أستطع رؤية ما تفعله يدي، كيف أعرف أن ما أفعله صحيح؟ ما دمت أرى أمامي ما تفعله يداي، لم يكن هناك أي مشكلة. لكن فور نفاذهما للداخل، وعجز عيني عن تتبع حركتهما، لم تكن لدي أي ثقة في أن ما أفعله صحيح».

قررت روث أن مهاراتها ستخدم المجموعة بشكل أفضل إذا أصبحت مسؤولة عن منصب «جاين الكبيرة»، وهو مصطلح كان يستخدم لوصف الشخص المسؤول عن توظيف الاستشاريات، ووضع جدول العمليات، وكان المصدر الرئيسي للمعلومات بالنسبة لعضوات المجموعة. وتشرح روث

طبيعة عملها فتقول:

«أصبحت مسؤولة عن منصب جاين الكبيرة، وكان هذا المنصب هو المنصب الآخر الوحيد الذي يحمل هذا القدر من الأهمية والقوة. كنت محظوظة، أو بالأحرى كانت المجموعة محظوظة. كانت هناك عضوة أخرى مسؤولة عن جاين الكبيرة، ولم يكن أدائها جيدًا بما فيه الكفاية لهذا المنصب، لكنها كانت تجيد إجراء عمليات الإجهاض. لذا قررت أن أبدل مهامي معها. استطعت فعل هذا لأن منصبي في المجموعة سمح لي بذلك. ومع أن بقية العضوات كن غاضبات من قراري، لم تعبر إياهن عن غضبها تجاهي، لأنني كنت أتمتع بالنفوذ الكافي لتنفيذ ما أردته».

كان اتخاذ القرارات في جاين عملية صعبة. وكانت الأوضاع مثيرة للقلق بسبب طبيعة النشاط الذي تقدمه (الذي كان يعد نشاطًا مهددًا للحياة بشكل ما) وبسبب الأهمية الشديدة للحفاظ على السرية، واحتياج العضوات للتركيز على كسب المعرفة بصفة دائمة لأن هناك نساء كثيرات يائسات يعوّلن عليهن. كانت العضوات يملن إلى كتم خلافاتهن للحفاظ على وحدة المجموعة وتحقيق هدفها. خلق هذا بدوره مشاكل داخلية، لكن حين ألقي القبض على سبع عضوات لدى جاين، وأصبح كيان المجموعة مهددًا بحق، استمرت الباقيات في إجراء عمليات الإجهاض، حتى حين اشتدت الخلافات بشأن استراتيجية إدارة المجموعة.

تذكر روث إحدى تلك المصاعب:

«أذكر أنه كانت هناك امرأة بعينها عنيفة بحق، وتتمتع بنفوذ قوي. لم تكن ضمن فريق الإدارة، ولا أذكر حتى ما تشاجرنا بشأنه، لكنه بالتأكيد كان أثناء فترة الاعتقالات. اختلفنا بشكل جذري حول ما كنا ننوي فعله، لكنني فزت. فزت لأنه بإمكاني أن أكون عنيفة بدوري حين أحتاج إلى أن أكون كذلك. لذا تغلبت عليها».

أدركت جاين لاحقًا أن حملة الاعتقالات لم تكن مخططًا لغلق الخدمة الاستشارية الخاصة بالإجهاض، لكنها كانت تصرفًا ناتجًا عن شرطي بعينه. لسخرية القدر، كانت بعض عميلات جاين ينتمين لعائلات بها أفراد يعملون بالشرطة. وكان أسلوب عمدة البلدة حينها، ريتشارد ديلي، هو تجاهل نشاطات جاين بصورة غير رسمية رغم اتباعه أساليب قمعية في أغلب الأحيان.

بعد فترة قصيرة من إصدار قرار رو ضد ويد بتقنين الإجهاض في يناير من عام 1973، أُسقطت القضية المرفوعة ضد «إجهاض 7»[1] في هدوء. بعض العضوات كن راغبات في الاستمرار في تقديم الخدمة، ظنًا منهن أن التقنين لم يتناول قضايا مثل التكلفة وجودة الرعاية. أخريات استسلمن أو خفن من أن المؤسسة الطبية قد تقاضيهن لأنهن كن يمارسن الطب دون رخصة، بعدما أصبح إجراء عمليات الإجهاض مربحًا قانونيًا.

[1] في مايو 1972 اخت إحدى العميلات لدى "جاين" قامت بإبلاغ الشرطة عن موعد عملية إجهاض، و تم القبض على 9 متطوعات في جاين، تراوحت أعمارهن بين 21-30 سنة بتهمة "مزاولة مهنة بدون رخصة طبية.

لكن روث تمنت أن تصبح تجربة جاين وخبرتها الواسعة في إجراء عمليات الإجهاض نموذجًا.

«كنتُ ساذجة. ظننت أننا تعلمنا في الخدمة الاستشارية كيفية تقديم خدماتنا باحترام، وبشكل سهّل إجراء العملية على الجميع، خصوصًا النساء. ظننت أن أسلوبنا سيفيد عالم الطب، وأن الجميع سيبدأون في ممارسة الطب بشكل مختلف. لم يحدث أي من هذا بالطبع، حتى في العيادات المخصصة لعمليات الإجهاض».

أغلقت جاين أبوابها في ربيع عام 1973. نشأت الخدمة الاستشارية الخاصة بعمليات الإجهاض في أوقات مضطربة، ولم يمر أحد بجاين في مرحلة ما دون أن يتأثر بشدة تجربتها.

«بالنسبة لمن أعرفهن، كانت تلك أكثر فترات حياتنا حدة، وحين توقفت، شعرنا بأننا فقدنا شيئًا ما. ولم ننجح لوقتٍ طويل في إيجاد شيء يمكننا استهلاك الطاقة ذاتها فيه. فما هي فرص أن تجد شيئًا تفعله، ليس على درجة عالية من التعقيد، ومفيد بحق؟ يمكن للمرء أن يكون مفيدًا بطرق مختلفة، لكن طريقتنا كانت مفيدة لأن بدوننا كانت النساء يواجهن مشاكل حقيقية. كانت الخدمة مخصصة لكل امرأة عاجزة عن توفير تكاليف الخدمات المعتادة لإجراء مثل هذه العمليات، أو الأماكن التي قد يتئذين إذا لجئن لأي منها. لذا ما فعلناه كان غاية في الأهمية. لا يمر بحياة الواحد إلا لمامًا، أو قد لا يمر بها على الإطلاق».

من السهل أن نقع في فخ التعامل مع تجربة جاين برومانسية زائدة. تحذر روث سيرجال من المغالاة في مدح التجربة، لأن ذلك يجعلها متجاوزة للتجارب العادية، في حين أنها ليست كذلك.

رأت عضوات جاين أن لديهن مهمة عليهن تأديتها، وقد كان. حين انتهت المهمة، مضت كل منهن في حياتها.

ما تزال روث منخرطة حتى اليوم في العمل الاجتماعي، وأصبحت تمارس الفخار بحرفية شديدة. أصبحت يداها، التي طالما خافت من أنها لن تتحمل إجراء عمليات إجهاض فعلية، قادرة على تشكيل أجسام رائعة بالفخار. وهي الآن عضوة ناشطة في مشروع Herstory Website Project، وما تزال توافق بصبر على إجراء مقابلات تناقش فيها تجربتها في العمل لدى جاين، وتصف ما تشعر به حيال التجربة قائلة:

«لم يكن خطبًا كبيرًا. لم أشعر بأنني أفعل شيئًا بالغ الأهمية. لم أشعر بهذا على الإطلاق. كانت مجرد مهمة أخرى علي توليها. بعدما انتهت، شعرت بأهميتها. ومع أنها كانت تجربة صغيرة وليست مهمة إلى هذا الحد، فقد ساعدت عددًا كبيرًا من النساء، وكانت تقدم شيئًا مفيدًا بحق».

فَريق العَـــمَل

أميرة نجاتي

لم يكن الكلام أبداً لي فعلاً تلقائياً ، إنما أحمل كلماتي في قفة أينما ذهبت، أخيطها ببعض بتردد. كنت طفلة متلعثمة تدرس القاموس وتقرأ الكتب بحثاً عن تعابير، تحدق في الوجوه والشفاه المتحدثة، تتبع إشارات الأجسام وترددات نغمات الحديث، ماذا يعني كل ذلك؟ ولماذا الوحدة رغم كل تلك الكلمات؟ ما زالت اللغة تأسرني، ولكنها سلبت مني من لم يحتمل الصمت.

علياء علي

مصممة، الصورة المرسومة بالنسبة لي بتتعدى كونها جماليات، بشوفها كمحاولة لفهم و توصيل أفكار و مشاعر اللغة المنطوقة كتير مابتساعدناش نوصلهم.

مها القاضي

صحفية ودارسة للعلوم السياسية. مهتمة بالعلوم الاجتماعية والقضايا المتعلقة بتطبيقاتها، والاطلاع على المحتوى النسوي وتجارب المجتمع المدني المتعلقة بالتنمية الاجتماعية.

نانا أبو السعود

بتشغلها دلالة الكلمات وبتكره بنية الجملة وبتحب تلخبطها، نسوية مناصرة للحقوق الجنسية والإنجابية.

نُهير عماد

بضم النون، مترجمة ومحررة، مهتمة بالعلوم الإنسانية وكل ما يتعلق باللغة العربية عموماً.